هذا الرجل

الشيخ على عبدالرحمن الامين

جهاد وامجاد

زغلول الوطنى

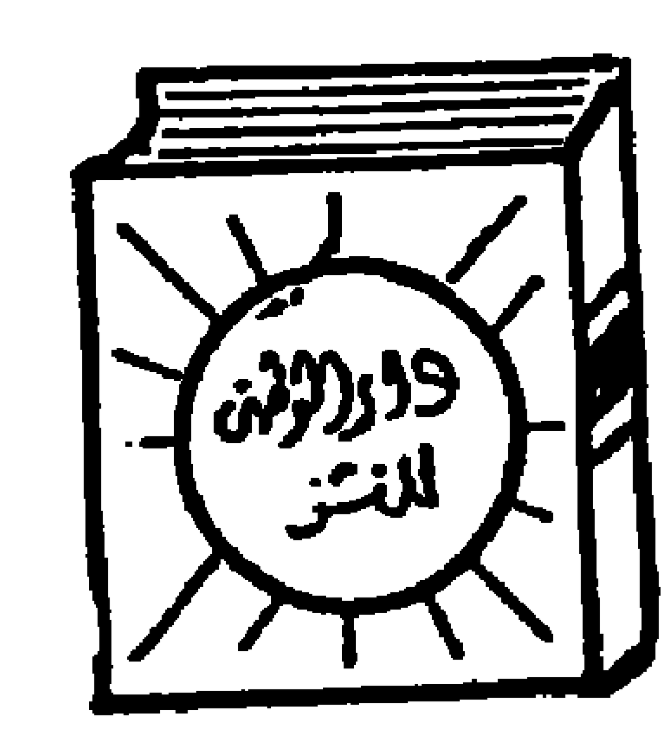
دار الوطني للنشر - ص.ب -٦- القلعة

اهداءات ١٩٩٩
مؤسسة الاهرام للنشر والتوزيع
القاهرة



زغلول الوطني

DL
دار الوطني للنشر
ص.ب ١٦ القلعة
القاهرة



ص . ب ٦ القلعة
القاهرة

تقــــديم

بقلم الأستاذ محمد الحسن أحمد
صاحب ورئيس تحرير مجلة الأضواء الغراء

استضافنى الصديق زغلول الوطنى فى رحلة بسيطة المظهر عظيمة الجوهر حين دفع بمسودة كتابه « هذا الرجل جهاد وامجاد » فأعاشنى فى مساحة زمنية مليئة فعلا باحداث كبيرة وكثيرة ، وانعش ذاكرتى فى حياة رجل لا يملك إلا أن يجله ويحترمه سواء اتفق معه أو اختلف .

انه كتاب عن الشيخ على عبد الرحمن الأمين .... وهو شيخ لأن الوقار لا يفارقه ابدا وهو على وان لم يكن كعلى الذى قال الرسول صلى اللّه عليه وسلم فيه « ان عليا بوابة العلم » وانما نافذة فى عالمنا هذا ، وهو عابد للرحمن دوما بطهره ونقاء روحه وبعده عن كل محرم ومكروه .

هو طراز فريد من البشر لأن صفات كهذه لا تطلق إلا عن صوفى زهد الدنيا وطلق السياسة أو لم يحفل بها قط لكنه لم يكن من تلك الزمرة ، كان يحفل بالسياسة ويهندسها بل كان اعجوبة فيها لا يرسمها فحسب بل كان مهندسا ومنفذا بمعنى انه لا يكتفى أن يكون فى مركز القيادة حينما يخطط وانما ينزل من برج القيادة ليقود الجماهير فى المظاهرات ... كان ميدان « أب جنزير » فى وسط الخرطوم هو المكان المحبب إليه ليقود المظاهرات منه وهو فى زى رجال الدين ابدا كان نمطا فريدا فى الزعامة وخطيبا بليغا « وليبراليا » شديد التطرف فى ما يؤمن به من افكار سياسية ... كان بحق فريد عصره .. ايمانه بالله امتزج مع فكره السياسى فصار بيننا مثل سعد زغلول حين قال « الحق فوق القوة » بل هو الذى حينما قاد مقاومة الانتخابات العجلى بعد ثورة اكتوبر ١٩٦٤ تمثل بالآية الكريمة « يا يحيى خذ الكتاب بقوة » .

عرفته حينما كان وزيراً للتجارة وهو شيخ جليل وأنا صحفى صغير واعمل فى جريدة «الصراحة» البالغة التطرف فى اليسار ، فاذا بى أجده شديد الحرص على فتح سوق كبير مع الصين

الشعبية التى كانت وقتها بعبعا معزولا ووجدته حريصا على كسر كل اطواق الخوف من التجارة مع مصر فهو كان ولم يزل يحب مصر حبا كبيرا ويؤمن ان العلائق معها لا يجب ان تكون تكاملية وإنما وحدوية ، لمست من خلال تجربته الواردة فى هذا الكتاب أنه صحفى يدرك دور الصحافة ومعنى الوفاء فما برنى به من سبق صحفى لم يكن اعجابا بى إنما قناعة بأهمية الصحافة ودور الصحف ... ومن يومها احببته وسعيت إلى التقرب منه وكم نالنى منه شرف السبق الصحفى بخبطات صحفية لا يتسع مجال ذكرها .

ومن انتعاش الذاكرة اذكر له بعض المواقف العظيمة فى مجال الصحافة ففى عام ١٩٥٧ كان وزيرا للداخلية وحينئذ تولى الأتحاد السوفيتى الدعوة لإستضافة مؤتمر الشباب العالمى فى موسكو ووقتها اعلن السيد رئيس وزراء السودان انه لن يسمح لأى شاب بالذهاب إلى موسكو للإشتراك فى هذا المؤتمر ولكن الشيخ على عبد الرحمن وزير الداخلية لم يمنعنا من الذهاب بل وجه وكيل الوزارة آنئذ السيد داود عبد اللطيف ان يسهل مهمة كل شاب .. وذهبنا واشتركنا فى مؤتمر الشباب العالمى فى موسكو وهو الشيخ الوقور المتمكن من الدين ولكنه الديمقراطى الأصيل .

وبعد عشرة سنوات بعمر الزمن كان نائبا لرئيس وزراء السودان ووزيرا للخارجية ووقتها كتبت خبرا صغيرا فى مجلتى « الأضواء » قلت فيه ان الملحق العسكرى الأثيوبى قد صفع صحفيا فى الفندق الكبير وان هذا الملحق ينبغى طرده من السودان وبعد ان تأكد من هذه الحقيقة لم يتردد مطلقا من طرده من السودان بالرغم من العلائق الحميمة وقتئذ مع حكومة صاحب الجلالة الأمبراطور .

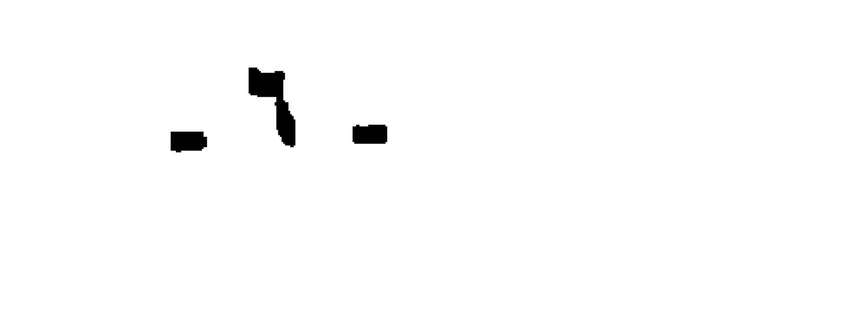
واذكر له موقفا كبيرا وعظيما فلقد كان وهو زعيم حزبه ابان ائتلافه مع حزب الأمة فى حكومة واحدة انه قاوم مشروع ايزنهاور لملء الفراغ فى الشرق الأوسط ووقتها جاء نيكسون فى زيارة للخرطوم وقبيل وصوله للخرطوم اشتركت مع زميلي وصديقى عبد الرحمن أحمد فى توزيع وثيقة تشكك فى المشروع والقى علينا البوليس القبض وثارت زوبعة كبيرة من حزب الأمة وصحفه بأن مصر تتدخل فى شئون السودان وان تلك الوثيقة حملت من مكتب الملحق الصحفى المصرى الخ ولم يكن غرض تلك الضجة غير المساس بسمعة مصر واظهارها بمظهر التدخل فى شئون السودان ولكنه بقوة شخصيته وحسه الوطنى وقف وقفة عظيمة حتى احبط ذلك المخطط .

اننـــى لا أود أن استرســـل فـــى كـرم ضيافـة الصديق زغلول الوطنى فأودع هنا مما اعرفه عنه ما يمسخ مذكراتى التى ادخرها لوقت آخر ولكنى وانـا اختـم هذه الخواطـر لابـد ان اسبح قليـلا فـى فيض انسانية الشيخ على عبد الرحمن ... فقد كان بحق انسانا ذا صفات متفردة ، وكان كريما لا يرد طالبـا ومنزلـه مفتوحـا دومـا ، ومـن آيـات كرمـه الفياض انه لم يزل فى منزله الذى يسكنه من قبل ثلاثين عاما فى الخرطوم اثنين بلا طوابق وطبقات وانه يعجز عن السفر للعلاج لأنه لا يملك ذلك ولا يطلـب شيئا مـن أحـد ولأنـه يـأبى ان يعـترف بأنـه فقير لأنه يحسب أنه غنى بالتعفف وبالتقشف الذى زامله فى كل حياته .

اننـى اعجـز عـن اجـد خاتمـة لحديثى هذا عـن الرجل العظيم بكل المقاييس ويكفى عن بساطته ان ينهـض بيننـا احـد عامـة النـاس الصديـق زغلـول الوطنى ليكتب هذا الكتاب المبسط عنه ويطلب إلى وأنا مثله وافد من اعماق فقراء هذا ابلد لكى اكتب شيئا يقدم أو يختم هذا الكتاب .

حقـا ان البسـطاء هـم أكـثر النـاس إحساسـا بالعظمـاء الذيـن يحتلون مكانا فى قلب الشعب .... الشعب الذى لا يضيع حسه ولا يخيب احساسه .

«محمد الحسن أحمد »


- ٦ -

بسم الله الرحمن الرحيم



هـذا الأبى ولـو أراد لما أبـى
هــذا الفقــير ولـو تمنى لاغتنى



بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمة

تعرفت بـه عـن كثب منـذ مـا يقـرب مـن ثلـث قرن من الزمان وكنت اعرف عنه قبل ذلك الشئ الكثير من مواقف صلبة ضد المستعمرين ، ووطنية صادقـة إذا مـا بـدت سـحب المتـآمرين تتجمـع ضـد الوطـن والمواطنين الآمنيـن ، فهـو اللسـان المعـبر للمؤمنيـن ... وهـو القلـم النـاطق للخريجيـن .. وهـو القلب النابض بمشاعر الأتحاديين

إذا مـا أدلهـم بـالوطن خطـب قـاد المواكـب واعتلى المنابر وصال وجال ولا يهدأ له بال إلا إذا فضـح المتـآمر ، وهـذا هـو ديدنه فى جميع العهود مـا قبـل الاسـتقلال .. وزعامـة الديمقراطيـة ... ودكتاتورية العساكر .

لم يكن فذا فى ذلك ، ولم يكن نبتا شيطانيا فى حقـل وطننـا ، بـل هـو امتـداد لمـا سـبق .. وفـرع لأصـل ، فجـده لأبيـه وقـف وهـو « ضـريـر » امـام جيـوش مـن ادعـى « المهديـة » فـى عهـده ، واعلـن

رأيه فى شجاعة مؤمن .. وقوة عالم بأن ليس هو ذا المهدى المنتظر ، ولم يرهبه جبروت انصاره ، ولم يثنه عن ابلاغ رأيه للخاص والعام من ابناء وطنه أخبار انتصاره ، حتى بلغ به قول الحق ان مثل أمام من ادعى المهدية بعد ان فتح «الخرطوم» وطلب خليفة المهدى من مهدية ان يسمح له بتنظيف الخرطوم برأس ذلك العالم « الضرير » الذى لم يكتف باعلان رأيه المخالف ، بل ارسل ولده « على » برسالة خاصة يبلغ بها المهدى أنه ليس المهدى ، فقال له الرجل المؤمن بربه ... والمعتز بعلمه ... والثابت على رأيه !

ليست رأسى بيدك أو بيد « محمد أحمد » حتى تفعل بها ما تشاء انما هى بيد الله .

ولم يستطع الجبار ان يفعل شيئا مع من سلم امره للواحد القهار ، بالرغم من ان له نبوءة للعالم الشهير « حسين ود الزهرة » عندما اعلن ايمانه بمن ادعى المهدية قبل ان يصل « الخرطوم » فقال له الشيخ « الضرير » آمنت حيث لا ينفعك الإيمان وستكفر حينما يضرك الكفر ، ويقصد الإيمان والكفر بالمهدية ـ وصدقت النبوءة بعد عشر سنوات وقد نورد قصة هذه النبوءة فى مكان آخر وفاءاً للتاريخ وتصديقا لأقوال الصادقين من الرجال.

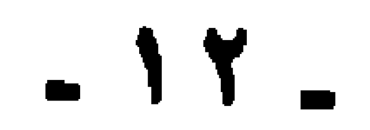
ووالده له مواقف مماثلة مع المستعمرين ، وعمه الشيخ « الحسن » من اشعل نيران ثورة على عبد اللطيف عام ١٩٢٤ من اعلى منبر مسجد « الخرطوم الكبير » حيث كان هو الإمام ، وحورب واضطهد ونفى من اجل ذلك عشرات الأعوام .

مما ذكر يتبين لنا أنه خير خلف لخير سلف وان « هذا الرجل » هو الشيخ على عبد الرحمن الأمين ، واما جهاده وأمجاده فسوف نطالعها فى صفحات هذا الكتاب الذى أرجو الله أن يوفقنى لما فيه اظهار الحق بكل أمانة وصدق .

زغلول محمد الوطنى

الخرطوم فى أول يناير ١٩٨٣

* * *





جزيرة تــوتى

« توتـى » هى جزيرة يحيط بها النيل الأزرق من الشرق والغرب والشمال والجنوب ، وهى بلدة قديمة ومن اعرق بلاد السودان ، وسكانها من قبيلة « المحس » والتـى ينتهـى نسبها إلـى « سيدنا أبـى بـن كعـب » الخزرجـى الانصـارى رضـوان اللـه تعـالى عليـه ، وقد تفرع من ذلك الأصل فروع عديدة هــم « الغرضكـاب » و « المكنــاب » و « البلـولاب » و « السعدلاب » و « الشكرتاب » و « العبودية » و « العجيماب » .

وفـى الجزيـرة « توتـى » مشيختان ، إحدهما للمكنـاب والاخـرى للعمـوم ، ومـن أبـرز عـادات الأهـالى وأشرف الخصـال فيهم أنهم يتخذون مـن «المسجد » ساحة ينظرون فيها ما يهمهم من امور دنيوية ، ويطرحون امامهم ما يعرض للعائلات من مشـاكل ، ويتخذون مـا يرونـه صـالحا للمجموع من

قرارات يلتزم بها الجميع لأنها صدرت من قوم قلوبهم عامرة بحب الله بعد ان نوقشت فى بيت الله ، فالمسجد عندهم هو مكان الصلاة والعبادة وله فى نفوسهم الطاهرة قدسية ما يصدر فيه من قرارات كانت دائما تعود عليهم بالخير والبركات ، ولاغرو فى ذلك. فقد صدر من ذلك المسجد قرار يحفظ للأسر كرامتها ويسهل طريق الزواج لشبابها وشاباتها .

وقد يكون هو الأول فى بادئ الأمر ومنه اتخذ أهل المدن المجاورة القدوة الحسنة فطبقوه على أهلها فعاد بالخير العميم على العباد ، فقد اجتمع « الفكى محمد مضوى » بأهل الجزيرة وعرض عليهم مشروع كان قد ابتدأه من قبل سنوات طوال المرحوم « الفكى الأمين الضرير » لتسهيل نفقات الزواج وتيسير اجراءاته حتى يتسنى للذين يريدون الزواج تحقيق أملهم بمبلغ قليل من المال وهو ما يعرف الآن بنظام « الكورة » فى الزواج وهو نظام يعرفه جيدا المصلحون فى « القرى » ويقبل عليه الشباب لما فيه من حماية لهم من جشع أهل « المدن » .

ولم يقنع الفكى محمد مضوى بهذا المشروع الخيرى العظيم فحسب ، بل بادر مع ارباب الأسر

العريقة والمتيسرة ماديا بأن يكونوا هم القدوة الحسنة لتنفيذ الفكرة حتى تشمل جميع الأسر ولا يكون هناك احراج للفقراء فى زواج ذويهم وقد نجح المشروع ونفذت الفكرة بل طبقت فى أكثر البلاد .

ومن أشهر الصالحين فى هذه الجزيرة الشيخ « أرباب العقائد » والشيخ « حمد ودام مريوم » والشيخ « خوجلى عبد الرحمن » المكنى « بابو الجاز » .

ومن أشهر علمائها « الفكى الأمين الضرير » وهو من قبيلة « الغرضكاب » وقد تلقى العلم على يدى « الفكى أحمد ودعيسى » صاحب المسيد المعروف فى جنوب الخرطوم ، وكان قد وصل إلى مرتبة ما يسمى بلغة عصرنا هذا « شيخ الإسلام » ويرجح أهالى « توتى » أن شهرة الفكى الأمين الضرير ترجع إلى أيام حكم التركية السابقة حيث أن امتحان علماء الدين كان يأتى من « أسطنبول » عاصمة « تركيا » آنذاك ، وكان الإمتحان يأتى على شكل « نقاط » تكون موضوعة فى كل سطر بما يترآى لواضع الإمتحان وما يكنه فى نفسه ولا يعلم حقيقته إلا هو ، وعلى الطالب أن يوضح ماذا تعنى هذه النقاط ، ولما عرضت

ورقة الإمتحان على الفكى الأمين الضرير ووضح له ما فيها من عدد نقاط على كل سطر حتى قال إنها الآيات القرآنية التى فى سورة كذا وكذا من كتاب الله تعالى وسمى الآيات والسور وكانت اجابة صحيحة أهلته أن يكون « مميز العلماء » فى السودان ، ومن ابناء الفكى الأمين الضرير ، الشيخ عبد الرحمن والد المجاهد الوطنى الشيخ على عبد الرحمن والفكى محمد .. والشيخ الحسن.. و« على » الذى أصبح أميراً للمحس فى المهدية .

وقد اشتهر أهالى « توتى » بالشجاعة الفائقة حتى فى عهد الحكم « الثنائى » فقد أصدر مدير الخرطوم الإنجليزى مستر « ماكنتوش » أمراً بنزع ملكية جزيرة توتى وتشريد أهلها ، وما أن نشر ذلك الأمر فى الصحف اليومية سنة ١٩٤٤ حتى اجتمع الأهالى بمنزل العمدة « أحمد إبراهيم» وكان يبلغ من العمر فى ذلك الوقت نحو ثمانين عاما وتشاوروا فى الأمر وقد استقر رأيهم على تشكيل وفد من ستة أشخاص لمقابلة المدير لمعرفة رأية ، وفى اليوم التالى ذهب الوفد المكون من الساده : مصطفى خالد .. أحمد عبد القادر .. عباس على .. الأمين بابكر .. محمود الأمام .. حسن الفكى أحمد ، وقابلوا المدير البريطانى وفى المقابلة علموا اصراره على نزع الجزيرة .

وقد غضب مصطفى خالد من اصرار ذلك المدير على تنفيذ رأيه وكان اشد رجال الوفد مقاومة لهذا القرار وقال للمدير « لا يمكن أن تأخذوا شبرا واحدا من أرضنا ونحن أحياء » وضرب مكتب المدير بجمع يده وهو فى حالة غضب شديد ، ولما خرجوا من مكتب المدير وجدوا أهالى توتى وقد حضروا ليشدوا من أزر وفدهم وليعرفوا نتيجة المقابلة ، فما أن رآهم مصطفى خالد حتى قال لهم : ما فى فايدة افعلوا ما شئتم للحفاظ على بلدكم فتجمهروا جميعا وتظاهروا ضد المدير وهاجموا المديرية واعتدوا على المفتش والقى القبض على بعضهم ووضعوا فى السجن وكان بينهم مصطفى خالد الذى حكم عليه بالسجن لمدة عام فيما بعد ، وقد كان بين الشهداء فى هذه الأحداث المرحوم « أحمد محمد يوسف » الذى فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها بعد أن اصيب برصاص المستعمرين .

ولما انتشرت أخبار تلك الأحداث هرع المواطنون من جميع أنحاء « العاصمة المثلثة » لمعرفة الحقيقة وليكونوا بجانب أخوانهم وأهاليهم مما جعل المدير يصدر أمرا بفتح كوبرى النيل الأزرق والنيل الأبيض ليحد من سيل المواطنين

المتدفق على المديرية ، وبذلك أدرك المدير فداحة الخطأ الذى وقع فيه وأخذ يبحث عن مخرج ينقذه من غضب الجماهير ويصون كرامته التى فقدها نتيجة تهوره فى اصدار القرارات دون دراسه واقعية يعرف منها مدى قبول أو رفض المواطنين لها ، وبعد تفكير وبحث توجه لمقابلة الحسيب النسيب السيد على الميرغنى لما له من مكانه سامية ورأى حصيف وكلمة مسموعة عند السودانيين عامة وأهالى جزيرة توتى بصفة خاصة .

وبعد أن شرح لسيادته الموقف على حقيقته طلب منه ما يمتص به غضب الجماهير عليه حتى يعود الأمن للمديرية ويسود الهدوء المواطنيين ، فقال له الحسيب النسيب السيد على الميرغنى أنه لابد من سحب هذا القرار أولا ، والإعتذار لأهالى الجزيرة لما حدث ثانيا ، وبذلك تهدأ النفوس الثائرة وتعود للجزيرة سيرتها الأولى ، ففوض المدير البريطانى السيد على الميرغنى عمل كل ما يراه وابدى استعداده لأعلان نفيه لنبأ الإستيلاء على الجزويرة واعتذاره عن كل ما حدث ، فقال السيد على الميرغنى ليكن ذلك فى مكتبك وأمام وفد من أهالى توتى ليكون بصفة رسمية ،فقبل المدير ذلك

ووعد بانتظار الوفد فى المديرية فى اليوم التالى ، وأرسل السيد على الميرغنى وفدا مكونا من الخليفة محى الدين .. والخليفة ودطه .. والشيخ إبراهيم عثمان من حلة خوجلى لمقابلة عمدة توتى أحمد إبراهيم ليرسل له وفدا من رجال توتى لمقابلة سيادته ، ولأهمية الأمر قال لهم لا تنزلوا من ركائبكم حتى يتم الموضوع باقصى سرعة ممكنة ، وفى اليوم التالى حضر وفد توتى لمقابلة السيد على الميرغنى مكونا من العباس الحاج عمر ، والنور ابراهيم أبو الريش ، وعبد الرحمن جميل الله ، ومحمود الإمام واثنين آخرين من أبناء الجزيرة ، وعند ما تشرف الوفد بالمقابلة كان يجلس مع السيد على الميرغنى الشيخ عمر اسحاق .. والخليفه محى الدين .. ومحمد إبراهيم الفكى .

وبعد السلام أبلغهم السيد على بما حدث مع المدير البريطانى وأنه أبدى اسفه واعتذاره لما صدر منه وأنه على استعداد لمقابلتكم لتسمعوا منه شخصيا ذلك الأسف والأعتذار تلبية لرغبتنا وحفظا لكرامتكم وستذهبون مع مفتش الخرطوم بحرى عبد الله الشفيع حتى ليسهل لكم مقابلة مستر ماكنتوش ، وعند وصول الوفد إلى المديرية وجد

هناك الدكتور زين ابراهيم وامام ابراهيم المحسى وعمر المكى وطلبوا ثلاثتهم الأنضمام للوفد فوافقوا كما وافق المدير على ذلك .

وعندما دخل أعضاء الوفد مكتب المدير وجدوه فى استقبالهم على باب مكتبه وصافحهم فرداً فرداً ولم يجلس على مكتبه حتى جلسوا جميعا وكانت أول كلمة منه هى « باردون » ثم اعتذر وتأسف لما حدث بالأمس ، شارحا لهم الظروف التى اضطرته لإتخاذ قراره الذى نشر والذى أثارهم وأنه لم يقصد الإستيلاء على الجزيرة أو نزع ملكيتها لأنه ليس ملك بريطانيا ولا حاكم عام السودان وإنما كان قصده طلب « الشورى » فيما طلبته منه إدارة الفندق الكبير من غرس أشجار فى المساحة المقابلة للفندق عند جزيرة توتى حتى لا يصل « الغبار » إلى النزلاء ، فقبل أعضاء الوفد الإعتذار واعتذروا هم أيضا عن الذى حدث وانصرف الجميع بعد أن اثبتوا أن تضامنهم كمواطنين كان أقوى من قوة المستعمرين .

وفى عام ١٩٤٦ عندما داهم الفيضان الجزيرة وهددها[1] بالغرق كان تكاتف أهل الجزيرة توتى وانشاؤهم « للتروس » لحماية البلدة من خطر الفيضان موضع اعجاب جميع السودانيين وخاصة

السيد علي الميرغني الذى كان يراقب عملهم ويدعو لهم بالتوفيق أيام وليال وهو يقف ومن معه من خلفاء .. واتباع .. ومريدين على حافة النيل المواجه للجزيرة فى الخرطوم بحرى مما كان له أثره الفعال فى نفوسهم وشحذ هممهم حتى كتب الله لهم السلامة وأصبح عملهم اسطورة تتحدث بها الجماهير .

وابناء جزيرة توتى تجدهم فى كل موقع فى السودان فهم الأغلبية إذا نظرت لعدد الموظفين فى التركية السابقة ، وهم الذين يشغلون المناصب الأولى فى المصالح والوزارات المختلفة ، فالشيخ ابراهيم صديق القاضى الشرعى كان أول قاضى مديرية من السودانيين بعد أن كان يشغل ذلك المنصب قضاة مصريون وهو محقق طبقات ودضيف الله ، وأول سكرتير لمجلس الوزراء هو الأستاذ أحمد الطاهر طيب الإسماء ، والأستاذ محمد أحمد عبد القادر كان أول ناظر مدرسة يقود مظاهرة كبرى عندما كان ناظرا لمدرسة « مدنى الثانوية » ضد مدير الخرطوم عندما اصدر أمره بنزع ملكية جزيرة توتى ، وفى القضاء الشرعى تجد على سبيل المثال الشيخ ابراهيم الصديق والشيخ ابراهيم على حسين والفكى الشيخ ادريس

من فقهاء علم تجويد القرآن وعلم الفلك وكتابة المصاحف ، والفكى ادريس ودبركات صاحب المسجد الثانى فى توتى ومدرس القرآن الكريم ، وفى الشئون المالية والمراجعة تجد على سبيل المثال أيضا أحمد الفاضل وامام ابراهيم المحسى وفضل عبد القادر وعبد الله عبد الوهاب حتى أصبح وكيلا لوزارة المالية ، ومحمد عبد الرحمن جميل الله ، وفى التربية والتعليم الأستاذ عمر حمزه والاستاذ محمد حمزه ناظر المدرسة الأهلية بالخرطوم والشيخ البشير الفضل والشيخ عبد الله الفكى ابراهيم والشيخ عمر اسحاق والشيخ ابراهيم قرة العينين والشيخ ابراهيم عبد الرازق والاستاذ توفيق اسحاق ، والطبيب الدكتور زين ابراهيم والدكتور يوسف عثمان والخليل على طيب الاسماء والفاضل على طيب الاسماء وعبد الرحمن خالد وزين العابدين خالد وابراهيم كباشى أحمد على ومصطفى حمد وعز الدين عبد الرحمن مصطفى والمهندس على أحمد على وأحمد البشير الحسن .

ولم نذكر هنا المناصب التى عمل ويعمل بها ابناء واحفادالفكى الأمين الضرير ويكفينا فخرا أنهم شرفوا كل موقع حلوا به مع اخوانهم من ابناء توتى وانجزوا كل مهمة اوكلت إليهم واخلصوا لكل

وظيفة اسندت إليهم .مهامها. فجزى الله الجميع خير الجزاء ... ورحم من رحل إلى دار البقاء أنه سبحانه سميع مجيب الدعاء .

وموقف آخر من مواقف أهل توتى المشرفة نذكره لهم هنا بكل اعزاز وقد خصصنا هذا الكتاب « للرجل » وهو منهم ، ففى عهد حكومة السيد الصادق المهدى سنة ١٩٦٥ وكان وزير الداخلية فيها السيد أحمد المهدى قدم للمحاكمة الشيخ على عبد الرحمن الأمين فى مديرية « كسلا » بعد الأحداث الدامية من رجال الحكومة نحو المواطنين المؤمنين بعقيدتهم الإسلامية والطريقة الختمية وقيادتهم السياسية المتمثلة فى حزب الشعب الديمقراطى والذين لبوا نداء الحزب فى المقاطعة والمقاومة للإنتخابات التى قررت اجراءها الحكومة فى الشمال دون الجنوب متيحة بذلك الفرصة لدعاة الإنفصال من الجنوبيين لتعزيز موقفهم بأن الشماليين هم البادئون بالأنفصال حيث تجرى انتخابات اعضاء الجمعية التأسيسة فىشمال الوطن دون جنوبه الأمر الذى لم يكن له مثيل من قبل ، قدمت حكومة السيد الصادق المهدى الشيخ على عبد الرحمن الأمين رئيس حزب الشعب الديمقراطى للمحاكمة مطالبة باعدامه لأنه فى رأيهم

هـو المحـرض الأول علـى القتـل بندائـه الـذى اصـدره لجمـاهير حزبـه بمقاطعـة الإنتخابـات ومقاومتهـا « بقوة » فهو المسئول عن الدماء التى اريقت والأرواح التى ازهقت ، ولكن عدالة القضاء برئاسة القاضى « حسن الماحى » اظهرت الحق وازهقت الباطل وحكمت ببراءة « الرجل » .

عندما تحدد موعد انعقاد المحكمة فى «كسلا » اجتمع لفيف من ابناء توتى المنضويين تحت لواء حزب الشعب الديمقراطى وقرروا فيما بينهم تكوين وفد منهم للسفر إلى كسلا ليكونوا بجانب ابن توتى مع اخوانهم من جميع انحاء السودان ، ولما علم الاتحاديون من أهل توتى بما قرره اخوانهم من حزب الشعب انضموا إليهم فقرروا السفر معهم جنبا لجنب لأن هـذا « الرجـل » أخ للجميع وليس للحزبية دخل فى ذلك ، وكان الوفد يزيد فى العدد عن الخمسين من خيرة رجال توتى ونزل فى ضيافة ابناء توتى العاملون بكسلا وكانت إقامتهم بمنزل ابنهم محمد عبد الرحمن جميل الله المسئول عن حسابات كسلا وكان للوفد أثره الطيب فى نفسية « الرجل » عندما شاهدهم بجانب الوفود الأخرى من ابناء الوطن وهو راكب السيارة التى

استقلها من سجن كسلا إلى ساحة القضاء ، وبذلك اثبت رجال توتى أنهم أشداء على الاعداء رحماء بينهم وإنهم مؤمنون حقا وانهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كما قال الرسول الاعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .







جــــده لأبيـــه

فى ذلك الوقت .. وفى تلك الأيام كان « الفكى الأميـن الضريـر » وهـو جـد « الرجـل » لأبيـه يشغل منصب « رئيس ومميز العلمـاء » وهـو مـا يعـرف بيننـا الآن « بشـيخ العلمـاء » وكـان مقـر العمل الرسمى فـى الخرطـوم حيث يلقـى دروسـا يوميـة فـى الفقـه ... والدين ... واللغة وغيرها من العلــوم الشرعيــة فـى « المسجـد العتيق » والذى اقيـم مكانــه « مســجد فــاروق » أو « الجــامع المصرى » .

كـانت دروسـه يوميـة كمـا ذكرت ، وكان يتخذ لنفسه منهجا لم يعرف من قبل ولربما لم يعرف من بعـد عنـد مـن يتولـون مثل هذا المنصب أو مـا يشـابهه مـن منـاصب اللهـم إلا القليل مثل مـا يفعل الشيخ « مجـذوب مدثر الحجـاز » الذى كان يعمل

كنائب لمدير جامعة أم درمان الإسلامية حيث يقضى أجازته السنوية فى بلدته « بربر » بالمديرية الشمالية معلما لأبنائها .. معيدا لاساتذتها بارك الله فيه .

كان الفكى الأمين الضرير رحمة الله عليه يدرس فى الخرطوم ستة أشهر ، وفى مدينة « رفاعة » شرق النيل بالجزيرة ستة أشهر لما كان له من صلة قوية ومحبة اخوية بالشيخ الوقور عبد الله عوض الكريم أبو سن ناظر الشكرية ، وكان من جراء ذلك أن توطدت المحبة بينه وبين ابناء تلك البلاد من رجال الدين والمدنيين .. ورجال السلطة .. ونظار القبائل .. ورؤساء العشائر وكان موضع اعتزازهم لما لرجال الدين فى ذاك الوقت من مكانة سامية فى نفوس الجميع ، وقد توطدت هذه الصلات بالمصاهره بينه وبينهم فهو يتزوج من عليه القوم ، ويزوج بناته لتلاميذه وهذه سنة حسنة ومنقبة حميدة قد اكتسبها من تعاليم الدين الحنيف الذى كان يدرس اسسه وقيمة للطلبة بعد ان شرب من رحيقه .. واقتبس من نوره .. وتشبع من اسراره .

فقد تزوج كريمة الشيخ عبد القادر « ودام مريوم » من اسرة الولى الشهير الشيخ « حمد ودام

مريوم » والمعروف مقامه بحلة حمد بالخرطوم بحرى ، وهى جدة « الرجل » لأبيه ، كما تزوج فى « حلة الجديد » بشمال الجزيرة « بعمة » الشيخ مهدى العشا ، وغير ذلك كثير ، وقد زوج كريمته لتلميذه « ود الفادنى » الفكى الشهير الآن ، وهذه أمثلة للقدوة الحسنة لرب الأسرة الكريمة التى كان من ثمارها « الرجل » الذى خصصنا هذا الكتاب له .. ولجهاده .. ولإمجاده .

ومن أنباء هذا الفكى الضرير انه ارسل ولده « على » مع ثلاثة من رجال « توتى » ليسلموا رسالة « للمهدى » يعلمه فيها برأى الدين بأنه ليس هو « المنتظر » فذهب الوفد لمدينة « الأبيض » غرب السودان ، وكان وقت وصولهم إلى مقره فى « قادير » موعد صلاة « المغرب » فاعجب رئيس الوفد « على » بتلك الجموع واخذته المظاهر التى وجدهم عليها واعلن إيمانه به فى نفس الوقت الذى يسلمه فيه انكار والده ، فكان أجر ذلك الإيمان تنصيبه « أميراً للمحس » ولما فتحت الخرطوم أمر « المهدى » جيوشه بمحاصرة منزل والد أمير المحس حتى لا يقتله انصاره لما اعلنه من كفر به ، وكان من جراء ذلك ان سلم الفكى الضرير ونجا من كيد الظالمين حتى احضروه

« للأمــام المهـدى » وتعــرف عليــه ، ولمــا طلــب الخليفـة مـن الامـام أن يسـمح لـه بنظافـة الخرطـوم بـرأس ذلك المنكر قال له حسين شرفى وهو امام جمع من الأمراء : اوما يكفيكم ان ابنه امير المحس معكم ؟ فسكت القـوم وقـال « الفكـى » « للخليفـة » قولتـه التـى سـجلها لـه التـاريخ « إن رأسـى ليسـت بيدك ولا بيـد محمـد أحمـد حتـى تفعـل بها ما تشاء إنما هى بيد الله » .

وظل « على » اميرا للمحس وذهب بعد الفتح للحرب فى « دنقلا » ثم عاد إلى جيش «محمود» فـى مدينـة « عطبره » حيث قتـل هنـاك ، ثم تولى بعـده الامـارة شـقيقه الشـيخ عبـد الرحمـن إلـى ان انتهت « المهدية » .

والشيخ عبـد الرحمـن الأميـن والـد « الرجـل » تولــى منصــب « القــاضى الشــرعى » لمديريــة «دارفــور » خلفــا للشـيخ « اسـماعيل الأزهـرى الكبير» الـذى ترقـى إلـى منصـب « مفتـى السـودان وكـانت دولـة الحكـم الثنـائى بعــد سقوط « علـى دينـار » عينتـه اول قاضى شرعى بها ، وكان لابد من كفاءة ونزاهة من يتولى هذا المنصب .

* * *



مولـــــــده

فى وسط هذا الفيض الهائل من العلوم الدينية ، وفى رحاب كتاب الله الذى تتلى آياته ليل نهار لا من جميع افراد الاسرة فحسب ، بل من جميع القاطنين ولد « الرجل » وسمى « عليا » ولا ادرى هل لهذه التسمية علاقة باسم عمه « على » الذى ارسله والده الفكى الأمين الضرير برسالته « هداية المستهدى فى بيان المهدى والمتمهدى » ليسلمها « للمهدى » الذى ظهر فى « جادير » ووصل إلى « كردفان » ، ام أن هذه التسمية نبوءة عالم وفراسة مؤمن لما سيكون لهذا المولود من شأن عال وقدر سام فى مستقبل الأيام ؟ .

الايام تمضى .. والاسابيع تمر ... والشهور تتوالى ... والاعوام تنقضى ويدخل « الرجل » « الخلوة » شأن من سبقوه من الأولاد ويحفظ

« كتاب الله » من سورة « الناس » الى سورة « البقرة » بعد ان حفظ « الحمد » فى مطلع ايام طفولته ، ولا داعى لذكر ما كان عليه فى « الخلوة » من جد واجتهاد إذ ان الاثنتى عشرة سنة التى بلغها بعد ان أجاد حفظ القرآن الكريم كفيلة بما لا يدع مجالا للشك بتعريفنا عن كيفية حاله مما أهله ان يعيد الحفظ من « البقرة » إلى « الناس » مع دراسة لما حفظ من آيات .

وفى خلال السنوات الاثنتى عشرة الماضية تمكن الخليفة « عبد الله التعايشى »من بناء ما يسمى بمصطلح اليوم « دارسك العملة » فى جزيرة « توتى » مسقط رأس « الرجل » واسلافه الطيبين ، مما سبب ازعاجا للذين ألفو الهدوء والسكينة ، فخرج البعض منها هربا من الضوضاء وبعدا عن الغوغاء ، وكان من بين هؤلاء « الشيخ محمد الأمين الضرير » أحد اعمام « الرجل » فاتخذ من « امدرمان » مقرا له وبنى بها « خلوة » شأن الصالحين من رجال الدين والتى اصبحت بعد ذلك مسجدا يذكر فيه اسم الله بالغدو والآصال وهو ما يعرف الآن « بمسجد الفكى محمد الأمين الضرير » .

كان لابد لهذه « الخلوة » من « نواة » لتثمر فروعاً لا من النبات ، بل من الانسان فوقع اختيار منشئها على « الرجل » ابن اخيه ليكون هذه النواة الصالحة لأبناء الخلوة المباركة ، وفى أثناء ذلك حضر من مدينة « سواكن » فى شرق السودان « الشيخ عبد الله عبد الرحمن الأمين » شقيق « الرجل » حيث كان يعمل مدرسا هناك للغة العربية والدين ليمضى اجازته السنوية بين أهله وذويه وهو مؤلف كتاب « العربية فى السودان » .

لاحظ الشيخ المربى نبوغ شقيقه بين اقرانه فعهد نفسه على ان يتعهده حتى يصبح فى المركز اللائق به ، ولهذا اصطحبه معه عند عودته «لسواكن » ليدرس له ويشرف عليه ، وقبل مرور عام ينقل « الشيخ عبد الله » من الشرق إلى الغرب ، من مدينة « سواكن » الى مدينة «الأبيض» ولم يترك شقيقه فى الخرطوم مشفقا عليه من عناء السفر ، بل اخذه معه ليعوده على تحمل مشقة الطريق فى السفر ليقوى على مواجهة الصعاب من الأمور فى الكبر !! .

وفى مدينة « الأبيض » يقضى « الرجل » اربع سنوات فى اولى مدارسها « الوسطى »

ويكون ترتيبه « الأول » على « كردفان » ومن ثم ينتقل الشيخ المربى الى الخرطوم ليكون من نصيب شقيقه الالتحاق بكلية « غردون » مع اوائل المتقدمين اليها وليدرس بها المرحلة « الثانوية » وليتخرج فيها بعد ان تخصص فى « القضاء الشرعى » وكان ذلك فى عام ١٩٢٦ .

لم تكن حياة « الرجل » مترفة كما يظن بعض الذين ينظرون إلى وضع « الاسرة » الاجتماعى، ولم تكن متوسطة كذلك ، فقد عانى الكثير من المشقات .. وشاهد الكثير من المجريات ... وسمع الكثير عن المحدثات ، ولك ان تتخيل طالبا يعيش فى كنف شقيقه الذى يعمل مدرسا للغة العربية والدين متنقلا بين المدن من الشرق الى الغرب مع صعوبة المواصلات وضآلة المرتبات ، وحتى فى العاصمة حين استقر به المقام فى جزيرة « توتى » والتحق بكلية « غردون » ليدرس بها كان عناؤه اعظم فقد كان يغادر منزله فى الفجر بعد صلاة « الصبح » ليركب « المركب » وهى الوسيلة الوحيدة للتنقل بين توتى والعاصمة ، ومن «المرسى » المعروف حتى الآن بالخرطوم - بالرغم من تطور وسائل المواصلات - لأهالى

توتى ، يواصل الطالب المجد فى طلب العلم سيره على « الأقدام » حتى يصل الى مبنى الكلية والذى اصبح الآن « جامعة الخرطوم » .

ويعود بعد انتهاء يومه الدراسى بالكيفية التى ذهب بها ، وقد لا يشرب شاى الصباح ، ولا يأكل حتى يعود لمنزله ، وبالرغم من كل ذلك لم يبد يوما ضيقا مما هو فيه ، ولا يشكو وقتا مما يعانيه، ويقينى انه كان يعتقد انها الأسس المتينة القوية الصالحة لبنيان حياته الاجتماعية وتكوين شخصيته المتميزة بالصلابة والشجاعة فى ابداء الرأى دون التواء ، والدفاع عن الحقوق المشروعة للوطن والمواطنيين بغير استثناء ، فهو كما كان يسير فى الطريق السوى من « المرسى » الى الكلية وبالعكس حتى يعود لأهله ، يسير الآن فى طريق الكفاح والجهاد حتى يعود الاستقرار لوطنه !! ولا عجب فى ذلك فهو الذى قرأ وتفهم ما يعنيه امير الشعراء أحمد شوقى بقوله :

قف دون رأيك فى الحياة مجاهدا

ان الحياة عقيدة وجهاد

* * *





فـى الكليـــة

وفــى عـــام ١٩٢١ التحــق « الرجـل » بقسـم «القضــاء الشــرعى » بكليــة غــردون بــالخرطوم وكـانت تشـغل مبـانى جامعـة الخرطـوم الآن ، ومـع بدايـة انضمامـه الـى صفوف الطلبـة فـى تلك الكلية ابتـدأ يتعـرف علـى مـن سبقوه اليهـا ويتعـرف علـى اتجاهـاتهم وميولهـم تجاه المسئولين فى ادارة الكلية مـن الانجليز ، خاصـة وان الحركـة السياسـية كـانت علـى اشـدها بيـن صفـوف الطلبـة الذيـن تـأثروا بـالاحداث الجاريـة فـى منـاطق الوعـى الوطنـى ضد الاحتـلال البريطـانى نتيجـة للثـورة التـى قامت بهـا العنـاصر الوطنيـة بمصـر عـام ١٩١٩ بقيـادة سـعد زغلول .

وكان الطلبة فى ذلك الوقت يسمعون من ذويهم عن التجمعات التى ينظمها الوطنيون « سراً » فى

العاصمة المثلثة .. وعطبره .. ومدنى .. وبور سودان .. والأبيض، استعداداً للثورة ضد المستعمر البريطانى لرفع نير الظلم والاستبداد عن كاهل الشعب السودانى أسوة بما حدث فى مصر ، ومع اعجاب الطلبة بذلك الذى يسمعون بدأ « الرجل » يجمعهم خفية حتى لا تعلم بهم سلطات الكلية .

وقد كان يدعو « الرجل » دائما الى ارسال الطلبة لمصر لتلقى العلم بمعاهدها وذلك خير من تحصيل العلم فى تلك الكلية التى تعامل الطلبة معاملة غير كريمة ، وكان يكتب ذلك فى المنشورات التى كانت تكتب باليد فى ذلك الوقت وتوزع باليد ايضا ، وظل كذلك يعمل داخل الكلية متأثرا بالاحداث التى تجرى فى خارجها وكان من أهم تلك الأحداث خروج المواطنين فى مظاهرات تجوب شوارع الخرطوم محتجة بعد صدور تصريح ٢٨ فبراير عام ١٩٢٢ الذى اعلن فيه انهاء الحماية على مصر مع الاحتفاظ بحق تولى البريطانيين لأمور اربعة كان السودان واحدا منها.

مرت ثلاث سنوات فى كفاح داخل مبانى الكلية والمسئولين فيها يعانون من ذلك الكفاح وما

يوزعه الطلبة من منشورات وما يشكل من تنظيمات حتى نقلت الدراسة الى « قشلاق عباس » فى عام ١٩٢٤ .

وفى قشلاق عباس بدأ المشرفون من الانجليز على الكلية يعاملون الطلبة بقسوة شديدة وكأنهم وجدوا فى ذلك الفرص المواتية للأنتقام من هؤلاء الطلبة الذين اقلقوا راحتهم .. وسخروا من ادراتهم.. وتصدوا لاستعمارهم ، فأخذوا يعاملون الطلبة معاملة غير كريمة حيث ارغموهم على تنظيف القشلاق نظافة تامة وهذا طبعا ليس من المواد التى يدرسونها ، أو من الاقسام التى التحقوا بها وبسبب ذلك الضغط من المسئولين المستعمرين ازداد الطلبة وضوحا فى مواجهتهم والتصدى لهم وعدم تنفيذ قرارتهم ، ويبدو أن سنة ١٩٢٤ كانت هى أيضا متضامنة مع الوطنيين ضد بطش المستعمرين ففى يوم ١٩ يونيه شيعت جنازة المرحوم عبد الخالق حسن مأمور مدينة امدرمان ، وهو من الاداريين المصريين الذين تميزوا بالتقوى وصدق الوطنية ومساندة المناضلين السودانيين ، فخرجت جماهير امدرمان عن بكرة ابيها تشيع جنازة مأمورها الوطنى العظيم وسرعان ما انقلبت مظاهرة وطنية كبرى وقف خلالها

المرحوم الشيخ عمر دفع الله التاجر المعروف بكفاحه الوطنى بامدرمان خطيبا فيهم هاتفا بينهم بحياة الأمة المصرية والسودانية ووحدة وادى النيل وحياة سعد زغلول فقبض عليه وقدم للمحاكمة وصدر الحكم عليه بالسجن ستة أشهر .

وكانت تلك واحدة من المظاهرات التى اشتعلت بالحماس فى المناطق الكبرى من الوطن كعطبره. وشندى ... وبورسودان .. ومدنى .. والأبيض ، والتى لم تعهد مثل هذا من قبل تهتف مطالبة بخروج الانجليز ، واما فى الخرطوم فكانت مظاهرة عظمى خرجت من مسجد الخرطوم الكبير بعد صلاة الجمعة حيث استمع المصلون الى خطيب المسجد الشيخ الوقور « حسن الأمين الضرير» وهو عم «الرجل » يندد فى خطبته وهو فى اعلى المنبر بما يفعله الانجليز الحاكمين بقوة المسلمين .. وبما يقومون به من اعمال لا يقبلها الاحرار .. ولا يرضى بها مسلم غيور على دينه ووطنه ، فخرجت الجموع هادرة تملأ شوارع الخرطوم وتهتف من اعماقها مطالبة بخروج الانجليز وجلاء المستعمرين ، فاصطدم بها رجال الأمن واصابوا عددا غير قليل من المواطنين ، وقدم الشيخ حسن الأمين الضرير للمحاكمة بتهمة

الاخلال بالأمن وازعاج المستعمرين ، ووقف الشيخ امام هيئة المحكمة يدافع عنه الاستاذ « امين الشاهد » وهو اول محام مصرى يقف امام المحاكم السودانية ليدحض افتراءات الحاكمين ، وليوضح للملأ كذب الشهود المضللين ، فكانت محاكمة اظهرت قوة الحق .. وصدق المؤمن ، مما اضطر الحاكمين من المستعمرين ان يرغموا الاستاذ امين الشاهد المحامى على السفر الى مصر والقضية لم تزل منظورة امام القضاء ، وويوفدوا المفتى الشيخ الطيب هاشم ، والشيخ ابو القاسم هاشم شيخ العلماء للشيخ حسن الأمين الضرير لينهى هذه القضية التى اثارت الرأى العام ضدهم ، واظهار تهكمه على شهاداتهم بما اثاره الاستاذ امين الشاهد المحامى من تساؤلات اضحكت المواطنين وخذلت المستعمرين .

ورغم محاولات اعوان الحاكمين لكى يعترف الشيخ حسن الضرير بأن الذى اوحى اليه بموضوع خطبة الجمعة هو قاضى القضاة وقتئذ الشيخ حسن مأمون ليحكموا ببراءته ، فأبى ذلك الشيخ الأبى ان يستجيب لرغبة الحاقدين لأن الشيخ حسن مأمون قاضى القضاة كان مصريا ، فحال بينهم وبين الفتنة التى قال الله تعالى عنها فى كتابه

العزيز انها أشد من القتل ، فحكموا عليه « بالنفى» من الخرطوم للجهة التى يحددها هو ، فاختار الشيخ الضرير ان يكون منفاه بجوار شقيقه الشيخ عبد الرحمن الأمين الضرير القاضى الشرعى بمدينة « الحصاحيصا » التى تقع شمال غرب الجزيرة وهو والد « الرجل » .

وفى عام ١٩٢٥ عادت الدراسة الى مبانى الكلية .. وفى عام ١٩٢٦ تخرج « الرجل » فى قسم القضاء الشرعى ليعمل « عاملا قضائيا » ويواصل كفاحه فى ساحة الوطن الكبرى ، فكان اول من عمل معه هو فضيلة الشيخ محمد أحمد المرضى فى محكمه امدرمان ، ثم عاملا قضائيا مع الشيخ محمد اسماعيل المفتى ، ثم مع الشيخ عبد المجيد عبد الحميد ، والشيخ عمر عطية ، والشيخ عثمان محمد الخير فى مدنى ، ثم بعد ذلك ترقى لدرجة قاض ونقل لمحكمة «دنقلا العرضى» فى الشمالية فى عام ١٩٣٥ .

* * *



مؤتمر الخريجين

وعندما وقعت مصر وبريطانيا معاهدة التحالف عام ١٩٣٦ ، انتهز المثقفون السودانيون فرصة عقد هذه المعاهدة فكونوا « مؤتمر الخريجين » عام ١٩٣٧ ، وكان « الرجل » من مؤسسى « مؤتمر الخريجين » ، وكان شعلة من الفكر يضئ الطريق امام الجمع الهائل من رجال المؤتمر سياسيين .. وادباء .. ومعلمين .. وشباب. واطباء ، وكان له « قلم » يعرف كيف يشهره سلاحا فى وجه العدو الغاصب المحتل للوطن المشرد للوطنيين ، وسرعان ما يجعله « مبضع » فى يده يبرئ به علل بعض المخدوعين .. ويزيل به مرض الكبرياء من المتغطرسين ويبتر به الاعضاء الفاسدة من جسم الوطن العزيز .

كان قبل المؤتمر يساهم مع المرحوم محمد عباس ابو الريش فى تحرير واصدار مجلة «النهضة » فكان يكتب بها « منذ صدورها الى يوم

احتجابها » قصائد باسم مستعار هو « شاعر الخفاء » ولما اصدر المؤتمر مجلته الاسبوعية فى عام ١٩٤٠ ومحررها الاستاذ محمد عثمان ميرغنى ، كان له فى كل عدد « مقال » ولما تحولت الى جريدة يومية كانت « هى » ثالث الصحف اليومية ، وكان « هو » اول رئيس لتحريرها وظل كذلك اعواما ثم خلفه فى رئاسة التحرير زميل الكفاح ورفيق الوطنية الاستاذ « بدوى مصطفى» الذى ظلت صداقته « للرجل » فى جميع المراحل الوطنية الى ان تقلد منصب « وزير التربية والتعليم » ممثلا لحزب الشعب الديمقراطى فى وزارة « سر الختم الخليفة » عام ١٩٦٤ ، وهذه الصداقة ظلت الى يومنا هذا والى ان يشاء الله تعالى .

كان يجتمع مع السيد عبد الرحمن المهدى بمفرده احيانا ، ومع الخريجين احيانا اخرى ، نسبة لما كان يبديه من تبرعات فى انشاء المدارس وتوفير ما يحتاجه المؤتمر والمؤتمرين ، ولما كان يظهره من بشاشة وكرم لمن يستقبلهم ، وكان السيد عبد الرحمن المهدى يناقش اعضاء المؤتمر فيما يهم الوطن من امور ويتفق معهم احيانا ويختلف معهم احيانا اخرى الى ان جاء اليوم

الموعود ، يوم ان علم المستعمرون الانجليز بنشاط سياسى للشباب من اعضاء المؤتمر فتوجسوا خيفة من ذلك حيث ارادوا تحويل المؤتمر من منظمة تعليمية الى منظمة سياسية ، وكان المستر «نيوبولد» السكرتير الأدارى الانجليزى على صلة دائمة بالسيد عبد الرحمن المهدى وصداقة وطيدة فاجتمع به وعرفه بخطر هؤلاء الشباب وخطورة تحويل مؤتمرهم الى حركة سياسية مناهضة لاستعمارهم وانهم - اى الانجليز - على استعداد تام لتسليم البلد لأبنائه بدون أية حرب بينهم بشرط واحد هو ان يتعهدوا هم بتأهيل الخريجين لحكم انفسهم وذلك بالاشراف على جميع مراحل التعليم حتى يكونوا جديرين بحكم السودان بعد مغادرتهم له واعترافهم باستقلاله ، وبعد تأكيد السودانيين الحاكمين المؤهلين « من قبل الانجليز » ، بانضمامهم « للكومنولث » .

ولما عرض السيد عبد الرحمن المهدى وجهة نظر اصدقائه من الانجليز على اعضاء المؤتمر دار نقاش مستفيض فوافق البعض والبعض لم يوافق ، وكان حجة الذين اعترضوا وهم جميعا من الشباب ان التاريخ لم يثبت فى صحيفته ولو مرة واحدة ان الانجليز المستعمرين يخرجون من بلد

دون حرب من اهلها الوطنيين الصادقين ، حتى الدول التى انضمت الى « الكومنولث » حاربت حتى حصلت على الاستقلال .

وبقدر ما اكد السيد عبد الرحمن المهدى من صدق صديقه مستر « نيوبولد » وان الانجليز اذا وعدوا صدقوا وانه مؤمن بصدق نواياهم نحو الوطن والمواطنين وانه من الخير لابناء المؤتمر من الشباب الذين ليس لهم تجربة سابقة ان يستنيروا من افكار كبارهم امثال عبد الله خليل ومحمد صالح الشنقيطى وعبد الرحمن عبدون والشيخ ابو شامة وبابكر بدرى ، وان يهادنوا الانجليز حتى يحصلوا على الاستقلال وذلك خير من الكفاح والجهاد الذى لا يعود على البلاد الا بالخراب والدمار .

ولما عرف الشباب اصرار السيد المهدى على رأيه وانه لا رجعة فيما ابداه من تأييد لقول المستعمرين وتصديق بعض المؤتمرين لذلك ، قرروا امرا فيما بينهم وانصرفوا على ان يجتمعوا سراً حتى لا يعلم « رجال الأمن » بنواياهم .

واجتمع الفتية وهم : الشيخ على عبد الرحمن الأمين ويحيى الفضلى .. والشيخ محمد احمد

المرضى .. وبعض زملائهم ، وقال لهم « الرجل» اذا كان السيد عبد الرحمن المهدى قد احتضنه الانجليز ليحققوا عن طريقه رغباتهم ، فهناك السيد على الميرغنى الذى لا نشك فى زعامته ونزاهته ووطنيته ، فما بالنا لا نذهب اليه ونعرض عليه رغبتنا فى الكفاح لتخليص الوطن من براثن الاستعمار الانجليزى ؟ ؟ فوافق الجميع على وجهة نظر « الرجل » وذهبوا الى سيادة السيد على الميرغنى وعرضوا عليه فكرتهم ووضعوا بين يديه خريطة كفاحهم ، فرحب بهم .. وشد من ازرهم .. وانه مؤيد فكرتهم .. ومبارك جهادهم وان مريديه سوف ينضمون الى مؤتمرهم فى كل بقاع السودان ان شاء الله .

ففرح المجاهدون بذلك التأييد من صاحب التاريخ الدينى والوطنى التليد والذى رفض التاج البريطانى لأنه رائد اصلاح لا طالب سلطان وانصرفوا شاكرين عاقدين العزم على الجهاد والسير قدما فى تخليص البلاد من المستعمرين حتى يتحقق لهم النصر المبين ، وكان اول عمل لهم هو تعديل دستور المؤتمر حتى يستوعب جماهير « الختمية » التى ستلبى دعوة زعيمها فى الانضمام للمؤتمر ، وفعلا تمكنوا من تعديل المادة

التى تنص على ان يعتبر عضوا فى المؤتمر كل متخرج من مدارس السودان ، لتصبح كما يلى : يعتبر عضوا فى المؤتمر كل من يحسن القراءة والكتابة .

وتوالت طلبات الانضمام من « الختمية » حتى بلغت الآلاف ولم تظهر تلك القوة الا عندما عقد المؤتمر عام ١٩٣٩ حيث ضاق مكان الانعقاد على سعته بالحاضرين من الخلفاء والمريدين والمحبين « للطريقة الختمية » والمؤيدين لزعامة شيخهم مولانا السيد على الميرغنى رضوان الله عليه .

ومن ذلك المؤتمر ظهرت قوة « الختمية » راجحة عازلة لمهادنى الاستعمار ، واصبح فى المؤتمر جناحان يمثلان « الختمية» و « الانصار» ومن ثم قاد الشباب المؤمن بربه ووطنه «المؤتمر» حتى اصبح قوة سياسية وطنية يعمل لها المستعمر مليون حساب ، ومن المؤتمر خرج اول حزب سياسى هو « حزب الاشقاء » ومن ثم تعددت الاحزاب حتى بلغت عددا يدل على وعى وايمان المواطنين بالديمقراطية ولم تتحد هذه الاحزاب الا عند توقيع اتفاقية السودان فى مصر عام ١٩٥٣ .

* * *



قلم وميزان

وبعد ان تولى « الرجل » رئاسة تحرير جريدة المؤتمر اليومية اصبحت الجريدة لها طابعها الخاص فى نشر المقالات الوطنية والتعليمية ، وكرس « الرجل » كل مقالاته لمهاجمة الاستعمار ومحاربة المستعمرين ، وكان يدعو دائما اولياء امور الطلبة ان يولوا وجوههم شطر مصر لينهل ابناؤهم من معين علمها ويتشبعوا من زاد وطنيتها فيشبوا وقد عرفوا معنى « الحرية » فيكونوا دعاة لها عند عودتهم لأرض الوطن يعقدون الندوات .. ويشتركون فى المواكب .. ويطالبون البريطانيين المستعمرين بالجلاء عن ارض الوطن حتى لو اقتضى الأمر بذل الدماء لينعم بنور بالحرية بعد ان تعلموا ان للحرية الحمراء باب بكل يد مضرجة يدق ، كما قال شوقى وكما قال غيره لا يسلم

الشرف الرفيع من الأذى حتى يراق على جوانبه الدم ، ولا شرف اعظم واعلى من شرف الوطن الذى يدنسه الاجنبى باحتلاله وامتلاك امره ، واضحت الجريدة مصدر قلق للمستعمر الغاشم ولا يجدون فيما تنشره ما يعاقب عليه القانون حتى يتمكنوا من مصادرتها وتشتيت كتابها ليعيشوا فى اطمئنان وينعمون بالراحة ولو الى حين ، فاضطر المستر « قورمان » السكرتير القضائى وقتئذ ان يقابل « الرجل » ليعرفه ان ما ينشر فى جريدة المؤتمر يقض مضاجعهم وهو المسئول عن كل ما ينشر بوصفه رئيس التحرير لذلك يعرض عليه امرين ليختار احدهما حتى تخبو جذوة النار التى اشعلها ضدهم على صفحات المؤتمر اما ان يستقيل من رئاسة التحرير او يترك منصب القضاء الذى كان يشغله « الرجل » وقتذاك بجانب عمله الصحفى فى الخرطوم ، ولم يطلب القاضى الصحفى من السكرتير القضائى مهلة حتى يفكر فيما عرض عليه لأنه يعلم كما قال ابى فراس الحمدانى انهما امران احلاهما مر ، ولا يمكن ان يستجيب لرغبة مستعمر حتى ولو جاء مغلفا بثوب فضفاض من الكلمات التى يجيدها الانجليزى حينما يريد تنفيذ شئ يعلم فى حقيقة الأمر انه غير

قانونى وليس فى استطاعته ان يتخذ حياله امرا حازما ، فقال للسكرتير القضائى على الفور : لن اترك رئاسة تحرير المؤتمر ولن استقيل من منصب القضاء ولتفعل ما تشاء .

وانفضت المقابلة .. وكان مستر قورمان يوجس خيفة من « الرجل » الذى يحرر المؤتمر ، ولا غرابة فى ذلك فالانجليز المستعمرين وغيرهم من الدكتاتوريين والذين يحكمون الشعوب دون رغبتها يعلمون مقدار قدسية الصحافة وما يستطيع ان يفعله الصحفى حينما يكون مؤمنا بقضية عادلة مثل « كلمنصو » الذى قال اعطنى قلما .. وورقا. وقضية ثم لن تساوى قوة الملوك بجانب قوتى شيئا ، وكيف لا يوجس خيفة وهو لاشك مطلع على رأى « نابليون » الذى اعلن فيه صراحة انه يوجس خيفة من ثلاث جرائد اكثر مما يوجس خيفة من مائة الف مقاتل ، ولم يستطع ان يفعل شيئا اكثر من استغلال سلطته بوصفه سكرتيراً قضائيا ان يصدر امرا بنقل « الرجل » من الخرطوم الى « كوستى » قاضيا فى محكمة « الرنك » وكان ذلك فى عام ١٩٣٩ ، ليحد من مقدرته فى جريدة المؤتمر وليعجزه بعد المسافة ومشقة السفر من

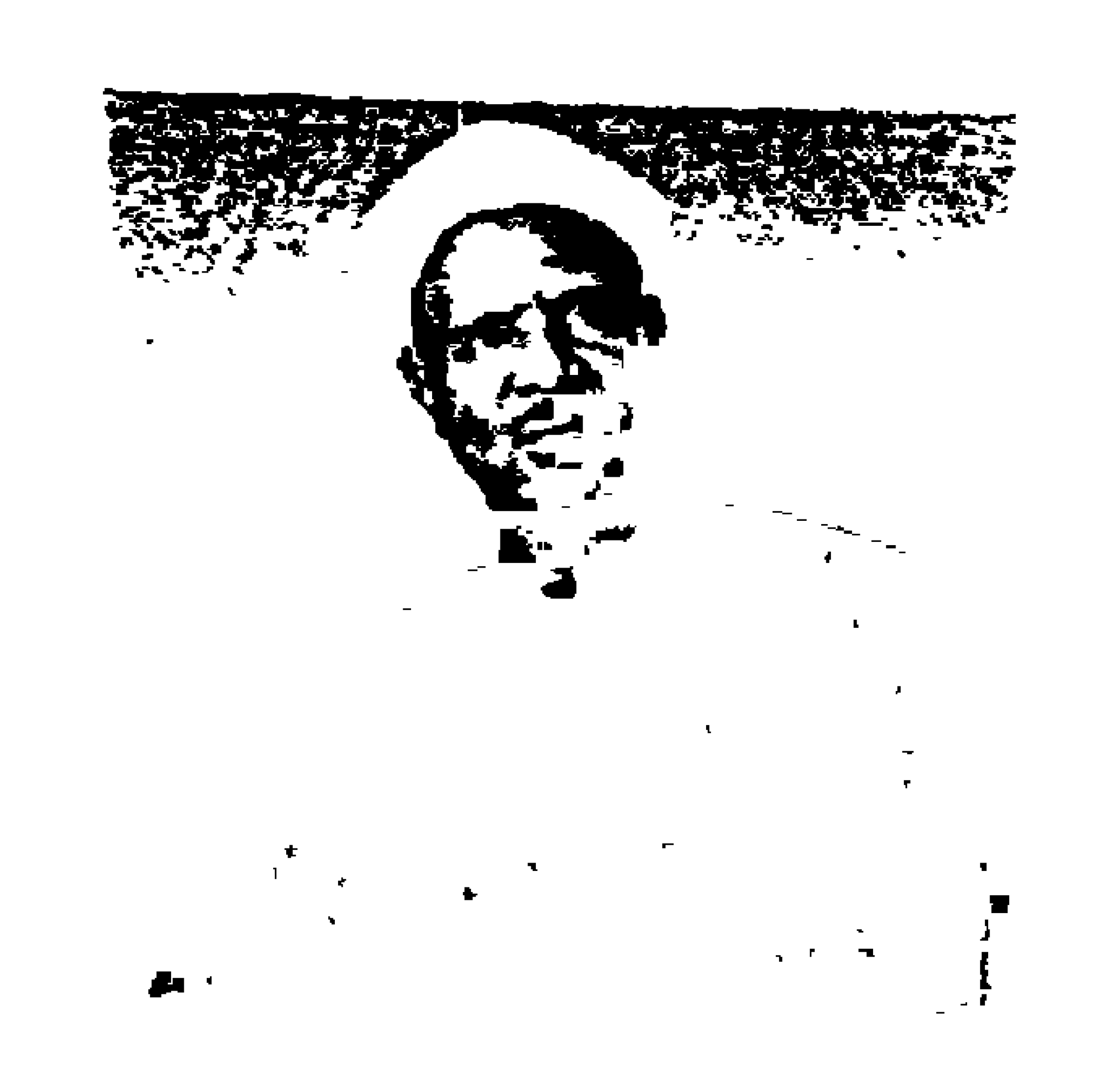
القيام بواجبه الصحفى وبذلك يكون قد آمن من حربه ، ولكنه نسى ان « للرجل » عزم الرجال وقوة الشباب .. وسلطان العقيدة وكلها مؤهلات تفوق منصب المستبد واسلحة تهزم جيوش المستعمرين ، لذلك لم يلجأ الى وسيط ليرجئ هذا النقل « التعسفى » ولم يتردد لحظة واحدة فى تنفيذ هذا القرار الذى كان له بمثابة اشعال النار فى القوة التى كان يكتنزها فى صدره ضد الاستعمار ، فذهب الى « كوستى » ومنها الى « الرنك » وهناك قرر مضاعفة الجهاد ضد هؤلاء الاوغاد فكان يغادر « الرنك » بعد نهاية ساعات العمل فى يوم الخميس من كل اسبوع ويحضرللخرطوم للاشراف على تحرير جريدة المؤتمر ، وللحث على مزيد من المقالات والاطلاع على الدراسات التى يستفاد منها للقضاء على المتسلطين على امور القضاء وللاسراع فى الخلاص من الذين يتحكمون فى ابناء الوطن وهم الدخلاء ، ثم يعود الى مقر عمله يوم السبت وهكذا فى كل اسبوع ، فتصدر الجريدة وهى اكثر حيوية بما تحوية من المواد ، ولم تكن وسائل المواصلات فى سرعة وتعدد هذه الأيام ولم تكن هناك وسيلة واحدة امام « الرجل » وهى ركوب « اللوارى » والمضطر يركب

الصعب ، فكان يسعد بركوبها ولا يشعر بنصب فى سبيل تحقيق رغبة سامية نحو الوطن ، وفى سبيل الاوطان تهون كل الصعاب ، وظل هكذا حتى مضى العام ونقل الى « الدويم » ليستقر بها عامى ١٩٤٠ ـ ١٩٤١ .

وكان فى استطاعة « الرجل » ان يعيش آمنا فى عمله وبين أهله فى الخرطوم ، كما كان يعيش قرناؤه من المواطنين ، لو تنازل عن اصراره فى رئاسه تحرير المؤتمر واستجاب لرغبة السكرتير القضائى ، فهو قد تولى القضاء ولأول مرة عام ١٩٣٥حيث ترقى ونقل الى « دنقلا » .. ثم نقل الى « النهود » عام ١٩٣٧ ، وعاد للخرطوم بعد هذه الأعوام فى عام ١٩٣٨ ولكنه اختار طريق الأحرار وفضل الجهاد لتحرير البلاد ، فكافح وناضل بالقول والعمل .. بالفكر والقلم لأنه يعلم تمام العلم ان الذين يتنازلون عن حرياتهم مقابل امان مؤقت لا يستحقون لا الحرية ولا الأمان .

* * *


- ٥٤ -



مواقف وطنية

ان « للرجل » مواقف عديدة لحماية استقلال هذا البلد والزود عن حماه يعرفها معاصروه ويؤكدها انصاره ومعارضوه ولنسجل هنا امثلة منها على سبيل التذكرة لأبناء هذا الجيل الذى شب وقد وجد الوطن مستقلا والحمد لله وليعلم من صان له الاستقلال بعد ان جاهد فى سبيل الحصول عليه مع الحفاظ على وحدة الوطن من التعصب القبلى والتمزق الاقليمى .

حيث لا يمكن حصر مواقف « الرجل » الوطنية ولنتخذ موضوع المعونة الاميركية او النقطة الرابعة كما يسميها مروجوها حتى تكون مقبولة عند العامة من ابناء الشعب « مثلا » لموقف وطنى وقفة « الرجل » عندما حضر الى ارض السودان المستر « نيكسون » مندوبا عن اميركا لاقناع المسئولين فى حكومة السودان وكانت وقتئذ مؤتلفة من حزبى « الشعب الديمقراطى» الذى

يرأسه « الرجل » وحزب الأمة الذى يتولى سكرتاريته عبد الله بك خليل لأن رئيسه وقتذاك السيد « صديق المهدى » كان بمنأى عن المناصب الوزارية ، حضر نيكسون وهو واثق كل الثقة بأنه سيقنع المسئولين فى الحكومة لقبول مشروع «ازنهاور » بعد ان يعدد مزاياه وفؤائده التى ستجعل من السودان جنة فى وسط افريقيا ، وكيف ان السودان ستصبح اجزاؤه متصلة بفضل «سفلتت» الشوارع ! ! .

ولكن كانت هناك مواد فى المشروع تجعله مرفوضا من حزب الشعب الديمقراطى وان كانت تجد القبول لدى حزب الأمة مثل منح جميع العاملين الذين سيحضرون للعمل باسم المعونة حصانة دبلوماسية واشياء اخرى ليس هنا مكان ذكرها ولكنها على كل حال تجعل من الامريكان سادة فى بلادنا بعد ان تخلصنا من سيادة الانجليز، فاجمع « الرجل » رأيه مع قادة حزبه على محاربة هذا المشروع ورفضه شكلا وموضوعا ، واذا كان لابد من قبوله فليكن حسب ما نراه نحن وما يتفق وصيانة استقلالنا .

فلما علم اعضاء حزب الأمة بذلك ارادوا ان يرغموا اعضاء حزب الشعب الديمقراطى على

قبولـه بالأغلبيـة الميكانيكية فى مجلس الوزراء عند انعقاده لاقرار المشروع وعندما رفض المشروع بالشروط التـى جاءت بـه والتـى بقبولها تجعل السودان ذيلا فى جسد المستعمرات الاميركية ، فما كان من السيد عبد اللـه خليل بوصفه رئيسا للوزراء ان قال نحن موافقون ! ! ولم يقل السيد الرئيس ذلك الا لعلمه بأن وزراء حزب الشعب خمسة مقابل سبعة لحزب الأمة وهو بذلك يضمن الأغلبية فى التصويت لصالح المشروع ، ولم تفت تلك الوجهة النظرية على فطنة « الرجل » فقال على الفور بكل عزم وحزم : اننا هنا شركاء فى الحكم معكم ، اى ان الحكم فى السودان قائم على حزب الشعب الديمقراطى وحزب الأمة ، فنحن واحد ، وانتم واحد ، وواحد وواحد يساوى اثنين وليس لعدد الممثلين فى الوزارة اى معنى غير ذلك، اذا كنتم تقبلون بهذا المشروع بفرحة ، فنحن نرفضه بشدة ولو ادى ذلك الأمر الى فض الأئتلاف بيننا !! .

فلما علم سكرتير حزب الأمة وزملاؤه اصرار « الرجل » على ما قاله ، وحتى لا يظهروا بالصورة الكريهة لهم عند الشعب مرة اخرى بعد ان كادت تتلاشى من اذهان الجماهير بعد لقاء

السيدين وائتلاف الحزبين اضطروا الى رفض المشروع ، وبذلك ذهب نيكسون غير مأسوف عليه ورجع بعد جولته فى البلاد العربية والافريقية يجرجر اذيال الخيبة فى مهمته التى منيت بالفشل فى اغلبية الدول التى عرضت عليها .

وما كان يصيبه ذلك لو ان السودان بادر بالموافقة حسب ظن القائمين بالحكم فى الولايات المتحدة لأنهم كانوا يطمئنون على موافقة الحاكمين فى السودان بمجرد العرض ، وقد غاب عن اذهانهم ان فى السودان اسودا تحمى العرين ولا تسمح بعد خروج المستعمرين من البريطانيين بدخول غيرهم حتى ولو كانوا من الاميركيين ، وبعد ان وصل القليل مما حدث فى مجلس الوزراء الى الجماهير صاحت فرحة تهتف من الاعماق « على عبد الرحمن عدو الاميركان » .

وموقف آخر يؤكد صدق هذا الشعار الذى رفعته الجماهير الملهمة ويؤكد احقية « الرجل » لهذا الشعار النابع من الوجدان ، فقد اوعز المستعمرون من الاميركان الى احد رجالهم من اصحاب الملايين بأن يتقدم الى حكومة السودان برغبته فى تأسيس شركة لتصدير اللحوم من

السودان الى الاسواق الخارجية، و حتى تستفيد الشركة يجب ان تكون اللحوم المصدرة مذبوحة ومسلوخة كما هو معهود فى اللحوم المصدرة من اوربا الى الدول النامية ليسهل استعمالها فورا ، وبذلك يكون هناك حفاظ على الثروة الحيوانية فى السودان حيث يستفاد عن طريق تصديرها مذبوحة بجميع الكمية ، بخلاف المتبع « وقتها » حيث يفقد الكثير فى الطريق سواء لو عورته أو من العطش ، وحتى يتم ذلك على اكمل وجه فلابد من اسطول للطائرات حتى يستفاد من الزمن فى توزيع اكبر كمية فى أقل مدة زمانية ، وانه - اى المليونير الاميركى مستعد لتحويل تلك الشركة لتنفيذ ذلك المشروع لو سمحت له حكومة السودان بأنشاء مطار بالقرب من اماكن الثروة الحيوانية بغرب السودان لاستخدامه فى هذه الأغراض ! !

فلما عرض الطلب بهذه الصورة على مجلس الوزراء « وكان وقتها ايضا مؤتلفا من حزب الشعب الديمقراطى وحزب الأمة » هلل له البعض. وفرح به الآخرون .. واعجب به فريق على اساس انه يستنفد اكبر كمية من ثروتنا الحيوانية ويكون مصدر كبير للميزانية ، وكل ذلك وغيره من مناقشات كانت تتغلب فى بعضها حسن النية

الوطنيـة ، فلما رأى « الرجل » ذلك اراد ان يبصر المجلس بمـا يريـده المليونـير الامـيركى .. ويكشـف للأعضـاء حقيقـة امـره .. ومـا تنطـوى عليـه تلـك الصفقـة الرابحـة الخاسـرة .. الرابحـة مـن الناحيـة التجاريـة ، الخاسـرة مـن وجهـة النظـر الوطنيـة ، حيـث ان ذلـك الأمـر ينحصـر « حسـب معلوماتـه .. وما تكشفه من خبرته مع اساليب الاستعمار القديم والحديـث » فـى انه خدعة اميركية جديدة يراد بها انشاء « قاعدة جوية حربية » مغلفة بصبغة تجارية ولذلك يجب رفض هذا المشروع .

ففغـر بعض الوطنيين افواههم بعد ان نفذ ذلك الحديث الى عقولهم .. وأخذ بعضهم يشكك فى ذلك ويثنى على المشروع .. « وكل يغنى على ليلاه » كما يقولون ، فلما وجد « الرجل » ذلك .. وخشى ان يفلت الزمام ويقر المجلس ذلك الموت الزؤام ، قال لهم بكل صراحة ووضوح :

هذا الموضوع من اختصاص أية وزارة ؟

فقـالوا علـى الفـور جميعـا : مـن اختصـاص وزارة التجـارة فقـال لهـم « الرجـل » انـا وزيـر التجـارة فـاتركو لـى هـذا المشـروع لدراسـته وتقديـم

تقرير عنه للمجلس الموقر ، فوافقوا على ذلك المنطق القانونى وهم على مضض حيث لا يستطعون ان يفعلوا غير ذلك ، فأخذ « الرجل » ملف « المشروع » ووضعه فى احد ادراج مكتبه بوزارة التجارة وهو لا ينوى الرجوع اليه ، وهكذا تحطمت آمال المستعمرين من الاميركان على صخرة الوطنية فى السودان .

وهذا موقف ثالث من مواقفه الوطنية ضد المستعمرين وان كان المستعمر فى هذا الموقف « بريطانى » الجنسية من الذين يظنون ان الشمس لم تغرب عن امبراطوريتهم حتى الآن ، لذلك يعامل مرؤسيه بنفس العنجهية التى كان اسلافه يعاملون بها الشرفاء من الوطنيين فى اى بلد هم مستعمروه ، ووظيفة ذلك المستعمر مدير عام شركة « شل » بالسودان ليمتد ـ اراد ان يجدد سطوة من سبقوة قبل استقلال السودان ، ويعيد استبداد اصحاب المناصب العليا بعد ان تخلصنا منه بفضل « السودنة » التى انجزتها اول حكومة وطنية حازت على ثقة الاغلبية العظمى من اصوات جماهير الشعب المتعطش للحرية ، نظر فى « فيْلات » العاملين بالشركة ، وعرف بعد بحث دقيق ان مدير العمليات بالشركة السيد امين

احمد الأمين يتمتع بثقة الذين يعملون معه لما ينجزه من اعمال اثبت جدارته فى معرفة عمله وانه فعلا اهلا بذلك المنصب الذى كان لا يشغله الا البريطانيون من قبل .

فاخذه الحسد على ذلك النجاح لذلك الوطنى الى حيث لا يدرى فقد اصدر امره بنقل السيد امين احمد الأمين مدير العمليات بشركة شل «بالسودان» ليكون مديرا لعمليات شركة شل «بالهند » بنفس الدرجة التى هو عليها فى ذاك الوقت من عام ١٩٦٨ ، وهنا تظهر وطنية العاملين .. وتطغى القومية السودانية على كل ما سواها من صغائر حزبيه او عقائدية ، وبعد ان أعلن القرار الخاص بالنقل رفضه السيد امين اولا لما لمسه من وطنية العاملين بالشركة واتحادهم على التمسك بوجوده بينهم رمزا لكفائة المواطن السودانى فى الموقع الذى كان يشغله البريطانى ، وقدمت التماسات .. وتمت مقابلات مع المدير العام لأثنائه عن قراره فرفض رفضا باتا ، وكان لابد من موقف موحد يزلزل الأرض تحت اقدام ذلك الطاغية فتضامنت نقابة الموظفين برئاسة السيد يوسف خضر مع نقابة العمال برئاسة الزميل عبد الجبار عبد القادر وتدخلت النقابتان رسميا وطلبت

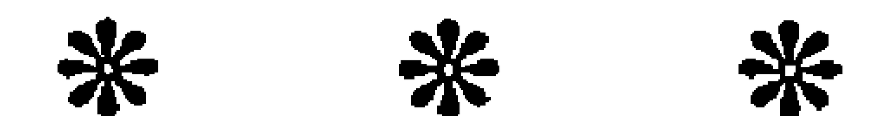
من المدير الغاء ذلك القرار الجائر فرفض كذلك واصبحت ازمة كبرى فى سير العمل بالشركة واضطرب الموقف وجميع النقابات تنتظر ما تسفر عنه تلك الأزمة التى اصبحت تحدى بين الوطنيين والمستعمرين ، وكان لابد من وجود السلطة ومعرفة رأيها فى ذلك .

ولكن كيف الوصول الى قمة المسئولية فى السلطة ورئيس الوزراء السيد محمد احمد محجوب مريض ، فكتبوا مذكرة ضافية شرحوا فيها وجهة نظر النقابيين وتمسكهم بمدير العمليات امين احمد الأمين وارسلوها الى رئيس الوزراء ونائبه الشيخ على عبد الرحمن وغيرهم ولكنهم فطنوا على ان المسئولين فى القمة تشغلهم امور فى الوطن قد تبدوا عندهم اهم من تلك وقد لا يطلعوا على المذكرة ويصبح تحديهم صفرا ، فعهدوا الى احد اعضاء نقابة العمال وهو الزميل عوض عبد اللطيف مع زملاء آخرين فى تحديد مقابلة مع «الرجل » لما يعرفونه عنه من ماض تليد وحاضر مشرق بصدق الوطنية ومواقف مماثلة مع طغاة المستعمرين وقت ان كانت لهم الصولة ، وفعلا تم اللقاء .. وتحدد موعد المقابلة .. وكانت جلسة خاصة بين « الرجل » الذى قدر موقف العاملين،

وبين المتضامنين من النقابيين وتفهم « الرجل » مطلبهم ووعدهم خيرا ، وانصرف العاملون والسنتهم تلهج شكرا ، وبعد يوم أو أقل ان شئت على وجه التحديد فى صبيحة تلك الأمسية كان يخرج من مكتب « الرجل » أمر باستدعاء المدير البريطانى لمقابلته لست ادرى هل كان ذلك الأمر بصفته نائبا لرئيس الوزراء أو وزيرا للخارجية .. وعلى كل تمت المقابلة التى لم يكن يتوقعها المدير العام لأنه يجهل وطنية من استدعاه وانه دائما يولى مثل هذه المسائل الوطنية كل اهتمام .

وقال « الرجل » كلمته الأخيرة بعد نقاش مستفيض لابد من الغاء ذلك الأمر قبل ان تسافر للاجازة السنوية ، فقال المدير الذى يعتقد انه مازال فى مستعمرة بريطانية اننى سأرجئ امر النقل حتى اعود من بريطانيا بعد قضاء اجازتى ثم افكر ، وهنا يثور الوطنى من اجل كرامة مواطنيه ويقول فى تحد صارخ ! اذا سافرت قبل الغاء امر النقل فلا تفكر ان تعود مرة اخرى للسودان وينهى « الرجل » المقابلة ، ويعود المدير البريطانى لمكتبه فى الشركة ليلغى امر النقل حتى لا يحرم من ذلك المنصب الذى قد لا يجده فى غير

السـودان، وهـو لا يصـدق ان اليـوم غـير الأمـس فبـالأمس كـان يسـتطيع مثلـه ان يعـزل رئيـس الوزراء، اما اليوم فهو يهدد بعزله من منصبه مع حرمانـه مـن دخـول السـودان ، ومـن اجـل ذلـك تحـارب الشـعوب وتقـدم الشـهداء لتحصـل علـى الاستقلال بفضـل المخلصين مـن بنـى الوطـن مـن الزعماء .







شجاعة فى الرأى

كـان « الرجـل » يعـرف دائمـا وابـدا بيـن الخاصـة والعامـة مـن افـراد الشعب ورجال السلطة والقـانون بشـجاعته النـادرة فـى مواجهـة المواقـف السياسـية التـى تتطلـب العزيمـة الصادقـة لحـب الوطـن، والوفـاء النـادر لمطـالب المواطنيـن ، والتضحية التى لا مثيل لها لتحقيق المكاسب للأمة العربيـة والافريقيـة والـزود عـن قضاياهـا فـى جميع المحـافل ايمانـا منـه بعروبـة السـودان قلـب افريقيـا النـابض ، لذلـك تجـده حريصـا كـل الحـرص علـى سـلامة ذلـك القلـب ، واشـراقة ذلـك الوجـه العربـى وهـو كذلـك دوليـا وعالميـا فالسـودان عضـو فـى الجامعـة العربيـة كمـا هـو عضـو فـى منظمـة الدول الافريقية .

كمـا كـان يعـرف كذلـك برجاحـة الـرأى وأبـداء المشـورة ، ولـم يكتـف « الرجـل » بـابداء الـرأى

السديد وخبرة العقل الثاقب فيما يعترض الوطن من محن وما ينزل به من نكبات ، بل كان يظهر ذلك الرأى ويبدى تلك الخبرة بشجاعة وبسالة تفوقان الوصف ولطالما عرضه ذلك لمخاطر جمة كادت تؤدى بحياته فى بعض الاحيان ، فقد حورب سياسيا واقتصاديا واداريا من المستعمرين وخصومه السياسين ورؤسائه الاداريين وكانت كل واحدة من تلك كفيلة بأن تزلزل اصلب الرجال عودا واقوى المواطنين عزيمة « كما حدث للبعض» ولكن « الرجل » كان يتقبل كل ذلك بصدر رحب وقلب مؤمن وعقل مفكر ، وكيف لا وهو القارئ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: افضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر وكيف لا وهو المطلع على الآثار ومنها من يقول : قل الحق وان كان مراً .

ومن هذه الآراء الشجاعة نورد هنا على سبيل المثال لا الحصر بعضا منها كنموذج لما تحلى به « الرجل» من صفات ذكرناها ، فعندما كان وزيراً لخارجية السودان ونائبا لرئيس وزرائه دهمت الطائرات الاسرائيلية مطار « بيروت » ونزل من بها من الاسرائيليين ولم يجدوا أية مقاومة حيث لا يوجد اى جندى فى المطار وعندما وجد

الاسرائيليين الحالة كذلك لم يرضوا بالعودة لبلادهم دون حدوث اى اضرار « بلبنان » تؤكد وصولهم اليها فأشعلوا النار فى المطار ولاذوا بالفرار دون ان يعترضهم احد ، واذيع الخبر الذى كان له وقع الصاعقة على نفوس المخلصين من الوطنيين ومنهم « الرجل » الذى وقف فى الجمعية التأسيسية فى « الخرطوم » ليعلن بصفته الرسمية عن احتجاجه على موقف حكومة لبنان من ذلك الحادث وتساءل: هل لبنان دولة عربية حقا ام غير ذلك ؟ لأنها لو كانت عربية لكانت حالة الأمن فيها مشدودة خاصة فى الموانئ والمطارات لأننا فى حالة حرب مع اسرائيل والأمة العربية ما زالت تعانى من نزيف الهزيمة التى اصابتها فى سنة ١٩٦٧ ، واعتلى منبر البرلمان اللبنانى بعد ذلك التصريح الخطير بعض اعضائه يحتجون على اقوال وزير خارجية السودان ، وامتلئت اعمدة بعض الصحف البيروتية محتجة على ما قاله النائب الأول لرئيس الوزراء السودانى الذى اعلن رأية دون خشية او رهبة من تأثيره على علاقة بلاده بدولة هى عضو فى الجامعة العربية ، وطلب وزير خارجية لبنان من سفير بلاده فى السودان الاسراع فى ارسال مضبطة الجلسة التى اثيرت فيها احداث لبنان حتى

يتمكن علـى ضوئهـا مـن صياغـة احتجاج لبنـان الرسمى علـى اقـوال الشيخ علـى عبد الرحمن ، واستمر ذلك الضجيج عدة ايام ، وظن البعض ان

« الرجل » لا محالة سيعزل من مناصبه ، او على أقل تقدير يتراجع عن رأيـه بطريقـة دبلوماسية ، واعتبر خصومـه ان تلك كبوة سياسية ولكن ما ان مرت ايام حتى هدأت العاصفة فى برلمان لبنان ، وتهدمـت اعمـدة الصحـف علـى كاتبيهـا وظـل «الرجـل» صـامدا معـتزا برأيـه وبجانبـه علامـة الاستفهام عن هوية لبنان حتى الآن ؟ ! ! .

وفـى انتخابـات الجمعيـة التأسيسية عـام ١٩٦٨ كـانت المنافسـة علـى اشدها بين احـزاب الاتحـادى الديمقراطـى .. وحـزب الأمـة بجناحيـه « الأمـام الهادى » و « السيد الصادق المهدى » والشيوعيين « وجبهـة الميثـاق » وهـى الواجهـة السياسـية للاخـوان المسلمين والوهـابيين ، وكـان لكل حـزب طريقتـه الخاصـة فـى الحصـول علـى المـال الـلازم للممعركة ، وكان الاتحادى الديمقراطى هو الحزب الوحيـد المعروفـة جهـة تمويلـه ، فهـو يمـول من سيادة مولانـا السيد علـى الميرغنى راعـى الحـزب ومـن المواطنين الشـرفاء الذيـن يقـدرون دوره فـى الحركة الوطنية ومناهضة الاستعمار ، ولكن كثرت

الاقاويل عن تحركات بعض السفارات فى الخرطوم وتمويلها لبعض الاحزاب حتى يتحقق لها فوز اكبر عدد من الاعضاء المرشحين ليضمنوا موالاة هؤلاء اذا عرض عليهم امر يهم بلادهم واعترضت عليه القوى الوطنية .

وكان ابرز هؤلاء السفراء نشاطا هو السفير السعودى الشيخ محمد العبكان وكان يعلل ذلك بأنه تدعيم للنشاط الاسلامى ضد الالحاد والملحدين ، وكان « الرجل » على بصيرة بكل مجريات الأمور ولا تخفى على فطنته تلك التدخلات الأجنبية وان تحلت بلباس الاسلام فهذه امور فى ظاهرها الرحمة وفى باطنها العذاب فوقف فى الليالى السياسية يندد بهؤلاء المتدخلين ويصرح لمندوبى الصحافة بأنه سينظر فى امر هؤلاء السفراء عندما يفوز حزبه بالاغلبية فى الانتخابات وتؤول اليه سلطة الحكم ، وبعد ان تحقق النجاح الباهر للأتحادى الديمقراطى وتقلد « الرجل » منصبى نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية حدثت حركة التنقلات بين السفراء وبهذه الحركة الدبلوماسية تمكنت الدول من فتح صفحات جديدة مع عهد جديد واعلن فى السعودية عن اختيار سعادة عبد الله عبد الرحمن الملحوق سفيرا لها فى السودان .

وان كـان « الرجـل » تغـاضى عـن موقـف السـفير الراحـل لتهيئـة الجـو السياسـى لاسـتقبال نسـمات الأخـوة الصادقة والاخـلاص الدائم الا ان السعودية لن تنسى له موقفه ذاك وان قابلته بباقات الـود والصفـاء ، فمـا ان حدثـت ثورة مـايو سنة ١٩٦٩ وأبعد « الرجل » عن مناصبه حتى تحينت لـه الفرصـة التـى تستعرض فيها مأساتها ، وتظهر بها عزتها وكرامتها فرفضت دخوله لبلادها بالرغم مـن ان ابـن اخيـه وصهـره الاسـتاذ « كمـال النورانـى» ارسل لـه دعوة من السعودية بـالطريق الرسـمى حيث يعمـل هنـاك بالريـاض ، وكـانت الوسيلة الوحيدة لمنعه من دخول السعودية هى ان صـورة البرقيـة التـى ارسلت لـه بموافقـة المسئولين على دخوله لم تصل فى الحقيبة الدبلوماسية ! ولـم يأبـه « الرجـل » لذلـك الموقـف الجـائر ، ولكـن عندمـا اراد القيـام « بـالعمرة » وهو فـى القـاهرة توجـه الـى سفارة السعودية هنـاك وطلـب الأذن لـه بذلـك فأمهلـه السـفير حتى يستأذن له بذلك خارجية بـلاده ، فذهـب وعـاد لـه مـرة ومـرات لعلـه يحظـى بالموافقـة لينعم بـالطواف ببيت اللـه الحـرام وزيارة روضـة المصطفـى عليـه الصـلاة والسـلام ولكـن هيهـات فالمسـئولون السـعوديون لا يستطيعون ان

يرفضوا طلبه وان كانوا لا يريدونه ان يدخل بلادهم انتقاما لموقفه من سفيرهم الشيخ محمد العبكان فى السودان ، ولما تكررت « فى انتظار رد الخارجية علم « الرجل » بنواياهم فثار ثورة عنيفة وقال للسفير فى مكتبه « اذا كنتم لا ترغبون فى دخولى للسعودية فلتعلنها صريحة حتى اتمكن من مقاضاتكم دوليا لأنه ليس فى استطاعة ايا من كان فى السعودية ان يمنعنى او يمنع اى مسلم حتى ولو كان مجرما حقيقيا « لا مجرما سياسيا كما تظنون بى » من اداء فرض الله او القيام بسنة لرسول الله ولم يستطع السفير ان يتكلم ولم يشأ «الرجل » ان يذهب لا بعد من ذلك حتى لا يقال انه ينتقم لشخصه وهو الذى لم ينتقم فى يوم من الأيام الا لربه ولشعبه ولوطنه .

وفى مصر العربية التى وقف بجانبها يؤيدها فى كثير من المحافل ، والتى تحمل الكثير من حملات خصومه لمواقفه الصلبة ودفاعه عن المسئولين فيها لم ينسى ولن ينسى ابدا تأييد مصر لاستقلال السودان وانها اول دولة من دولتى الحكم الثنائى اعترفت بهذا الاستقلال ، كما لا يضيع من ذاكرته ما بقى حيا جهود المسئولين المصريين فى

كل العهود تجاه السودان فى شتى المجالات التعليمية .. والصناعية .. والاقتصادية ، ولكن عندما وقف المسئولون عن التعليم فى ثورة مايو موقفا متشددا بخصوص المنح الدراسية التى تمنحها مصر للطلبة السودانيين عن طريق « قيادة الختمية » والحزب « الاتحادى الديمقراطى » واشترطوا على وزير التعليم فى مصر فى المعاهدة الثقافية المبرمة بينهما ان لا تمنح منحة واحدة لأية جهة فى السودان ولا يقبل اى طالب فى جامعات مصر ومعاهدها الا عن طريق وزارة التربية والتعليم بالسودان واضطر المسئولون فى جمهورية مصر العربية قبول ذلك الشرط المجحف تفاديا لأزمات سياسية ، وقف «الرجل » بكل شجاعة وهو فى القاهرة امام وزير التعليم العالى المصرى وكان من أعز اصدقائه وقال له « اذا كانت الظروف السياسية هى التى أملت عليكم هذه الاتفاقية فأننى انبئك بنتائجها من الآن لأننا كختمية وحزب اتحادى ديمقراطى لم نتقدم اليكم بطالب راسب فشل فى الحصول على الثانوية العامة وكان كل ما نطلبه من تسهيل منكم هو تمكين الطالب من الدخول فى الكلية التى يرغب فى الدراسة بها ، فهو ناجح ويحق له دخول الجامعة ولكن مجموعه

الذى حصل عليه أقل من الذى وضعه مكتب التنسيق المصرى .

ولكن بقبولكم لشروط النظام القائم سيحتم عليكم قبول طلبة راسبين فى امتحانات الثانوية والا سوف تخلقون أزمة سياسية كنتم تظنون انكم بتوقيعكم للاتفاقية تفاديتموها وكان يستمع لهذا الحديث الدكتور احمد السيد حمد مساعد الأمين العام للجامعة العربية للشئون القانونية وهو زميل دراسة للوزير المصرى فى « ثانوية حلوان الاميرية » وبعض كبار المصريين الذين كانوا بمكتب السيد الوزير آنذاك ، ومرت الايام والاعوام وتحقق ماتنبأ به « الرجل » وقبلت جامعة القاهرة فرع الخرطوم عددا ممن لا تنطبق عليهم شروط القبول واحتج الطلبة المنتظمون فى الفرع على ذلك القرار الذى يقلل من شأن المؤسسة العلمية وينال من مقدرتهم الطلابية مما يؤثر على مستقبلهم فى الحياة الاجتماعية فأعلنوا الاضراب عن الدراسة ليعلم المسئولون فى الجمهوريتين ان العلم فوق السياسة .

ولم يقف « الرجل » مكتوف اليدين امام ما حدث ، بل اخذ يفكر فى حلول لمشكلات ابنائه الطلبة الراغبين فى العلم ، والذين يلجأون اليه منذ

مؤتمر الخريجين لتذليل الصعاب لينهلوا من معين الجامعات المصرية ، فالتقى بالأب الحنون الذى اشتهر بين الطلبة السودانيين بخدماته الجليلة لهم ، وترحيبه الحار بهم ، طوال السنوات التى قضاها مديرا لفرع الجامعة بالخرطوم بينهم ، واتفق «الرجلان » على مواصلة جهودهما التربوية بأن يرسل « الرجل » هنا من يثق به من ابناء السودان ليلحقه « الرجل » هناك بالجامعة التى يديرها فى الشرقية بمصر ، وبذلك لم تثمر اتفاقية النظامين ، بينما اينعت ثمار اتفاقية الرجلين ، وكان من جراء ذلك ان « الرجل » هناك وهو الدكتور محمد طلبه عويضه مدير جامعة الشرقية لم يحالفه التوفيق بالفوز فى انتخابات البرلمان المصرى فى احدى دوائر محافظة الشرقية لأن خصمه فى الدائرة لم يجد عليه أى مأخذ يضعف من ثقة الناخبين فيه هناك غير انه ملأ مدرجات الجامعة المخصصة لأبناء الشرقية بالطلبة الوافدين من السودان دون ابناء الدائرة ، وتقبل الدكتور عويضة ذلك بروح رياضية عالية لأنه يؤمن بأن دعوات الطلبة وأولياء امورهم له افضل عند الله من اى منصب ولو كان عضوية فى مجلس الشعب .

والدكتور محمد طلبه عويضة الرئيس الحالى لجامعة الزقازيق هو ثالث عضو هيئة تدريس تولى ادارة فرع جامعة القاهرة بالخرطوم فى المدة من عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٧٤ عندما اخطره المسئولون بمغادرة السودان فى خلال ٧٢ ساعة بعد ان اصبح فى « نظرهم » من المغضوب عليهم لقرار اتخذه لحماية التعليم الجامعى من عبث الذين بيدهم زمام الأمور فى ذلك الوقت ويريد ان يخضعوه لأهوائهم السياسية ، وقد قال قولته الشهيرة دون خوف او وجل للمسئول الأول عندما سمح له بمقابلته : اننى منفذ أمر المغادرة ولكن الذى احب ان أقوله وأنا اودعكم هو اننى لو خدمت هذه المدة فى «اسرائيل» ما اتخذ المسئولون فيها ضدى مثل هذا القرار وقد ترك اثرا واضحا فى دعم فرع الجامعة بالخرطوم وتخرج على يديه عدد كبير من ابناء السودان ، وبعد هدوء العاصفة بسنوات منحه السودان الدكتوراه الفخرية تقديرا لجهوده التى بذلها فى السودان ، وعندما احتفلت البلاد فى ٢٤ فبراير عام ١٩٨٢ باليوبيل الفضى لفرع جامعة القاهرة بالخرطوم بمناسبة مرور ٢٥ عاما على انشائه منحه السودان وسام الجمورية تخليدا لهذه المناسبة الجليلة ، والدكتور طلبه

عويضه حصل على الدكتوراه فى فلسفة العلوم من جامعة « ليفربول » بانجلترا عام ١٩٤٨ وعاد ليعمل استاذا بجامعة القاهرة ثم تدرج بعد ذلك فى عدة مناصب حتى تولى منصب رئيس جامعة القاهرة لفرعها بالخرطوم .

وفى مصر ايضا .. وفى قلب مجمع البحوث الاسلامية وقف « الرجل » ليبين للمؤتمرين ما أصاب الاسلام من بعض بنيه الذين ادعو «المهدية» فى مناطق متعددة من العالم الاسلامى فقال انهم وان كانوا يقصدون اعادة الاسلام الى قواعده السليمة الا ان طبيعة دعوتهم انحرفت بهم عن الطريق المستقيم وادت الى ضروب من الفساد وسوء السلوك واراقة الدماء وتكفير المسلمين فخلطوا عملا صالحا بآخر سيئا عسى الله ان يغفر لهم ، ثم تطرق الى ما ادخله الاستعمار المباشر وغير المباشر فى المجتمع الاسلامى فى جميع اقطاره من الدعوة الى الانحلال وشرب الخمر وممارسة الميسر واحتقار الاسلام والسخرية بالمسلم المتمسك بدينه واتخاذ اوربا والاوربيين مثلا اعلى يحتذونه فى كل ما تحمله مدنيته من فساد واضرار فانتشرت الملاهى والمعاصى واختلاط الرجال بالنساء فى خلوة ودون محرم

واعجاب بكل ما ينسب الى اوربا من خلق ومن تصرف واعتبار كل ما ينسب الى الاسلام رجعية وتخلف .

ولم يكتف « الرجل » بذلك مما اشرنا لى بعضه ، بل قال رأيه فى شجاعة العالم الذى يبغى الاصلاح لدينه ، ولم يهب علماء العالم الاسلامى المجتمعون فى المجمع ، ولم ينافق علماء الأزهر الذى هو قدوة المسلمين فى علومهم والذى ظل نحو الألف سنة وهو يزخر بطلبة العلم وفطاحل العلماء قال : ظل الأزهر مع هذا عاجزا عن اصلاح هذه الاحوال وهو يشاهد حتى طلبته وبعض علمائه ينساقون فى ذلك التيار وانى لا اقول ذلك حكما على عمومه ولكنى اشير الى الأغلبية العظمى مستثنيا اقلية صالحة اكتفت بالصمت واختصت نفسها بالعمل الصحيح حتى لا تكاد تشير الى اصلاح المفاسد الا بصوت منخفض وفى جو خاص ، واذا كان ما اشير اليه هو الحال فى مصر وفيها الأزهر كعبة العلم ومرجع الاسلام ، وفيها كبار العلماء المحققين وحملة القرآن والحديث فأن المصاب فى غيرها من بلاد الاسلام افدح واعظم .

ولا يفهم مما تقدم من مواقف صلبة وآراء شجاعة ان « الرجل » كان متسلطا على من كان معه .. مستبدا برأية .. لا يتزحزح عن موقفه مهما تغيرت الظروف وتطورت الملابسات ، بل كان دائم التفكر فيما اتخذ من قرارات متمشيا مع الأحداث متأثرا بما يحيق الوطن من الداخل وما يحاك له فى الخارج من مؤامرات تريد ان تجرده من عروبته فيتصدى لكل ذلك مهما كلفه من مراجعة لموقف كان قد اعلن عنه بادئ ذى بدء ، مثال ذلك ما حدث عندما اعلن عن انقلاب ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٨! فى السودان فقال « الرجل » انه ليس انقلاب وانما هو عملية « تسليم وتسلم » تسليم الحكم من السيد عبد الله خليل رئيس الوزراء وقتذاك وسكرتير « حزب الأمة » الى « جنارالات » الجيش كما يحلو « للرجل » ان يصفهم كلما جاءت الذكرى عقب وشاية من السفير الاميركى بالقاهرة لهم بان السيد اسماعيل الأزهرى رئيس الحزب الوطنى الاتحادى والشيخ على عبد الرحمن رئيس حزب الشعب الديمقراطى قد التقيا فى مأدبة الفريق محمد صالح حرب واتفقا على ابعاد حزب الأمة من السلطة عند افتتاح البرلمان فى ١٧ نوفمبر ، وقد اغشى ابصارهم

حب سماعهم للوشايات عن رؤية السيد عبد الله خليل بين المدعوين لهذه المأدبة .

واظهر « الرجل » عداءه للنظام الذى اودى بالديمقراطية وللذين يعملون على اظهار افريقية السودان والتنكر لعروبته تنفيذا لعملية « التسليم والتسلم » ولكن عندما عاد الفريق ابراهيم عبود للصف العربى ووجه الدعوة للرئيس الراحل جمال عبد الناصر لزيارة السودان تأكيدا لعروبة السودان وايمانا من الحاكمين بأن لابد للسودان من جناحين ليتمكن من الوصول الى تحقيق اهدافه ، ساء ذلك التحول الذين سلموهم الحكم وطلبوا منهم الرجوع الى ثكناتهم لإيهام الشعب انهم ضد الحكم العسكرى بينما هم صانعوه، فما كان من « الرجل» الذى سره عودة السودان الى ساحة العروبة الا ان يكتب مع زملاء له من « كرام المواطنين » مذكرة يطلب فيها من الحاكمين البقاء فى الحكم تأكيدا للسياسة التى اتبعوها لا تأييدا للدكتاتورية التى ينفذونها ، وأشاع الخصوم انه يؤيد حكم العساكر ، ولكن الشعب يعرف من الذى يدافع عن الوطن ومن الذى عليه يتآمر .

ومثال آخر لاتباع « الرجل » للحق حيث كان واينما وجد ، فعندما كان رئيسا لحزب الشعب

الديمقراطى كان ينادى بالجمهورية البرلمانية ويعدد محاسنها وانها خير نموذج للحكم الذى يصلح للسودان ، وكان اعضاء الحزب مقتنعين بذلك تمام الاقتناع عن اقناع لا عن اتباع لأن « الرجل » عودهم ذلك لأنه كان يحترم حرية الرأى ويقدس رأى الانسان ، وكان السيد اسماعيل الأ زهرى رئيس الحزب الوطنى الاتحادى ينادى بالجمهورية الرئاسية ، وعندما انصهر الحزبان فى حزب واحد فى عام ١٩٦٧ توحيداً لجهود الوطنيين الاحرار تلبية لنداء وتحقيق لرغبة راعى الحزبين سيادة الحسيب النسيب مولانا السيد على الميرغنى زعيم الختمية ، اصبح اسم الحزب بعد اللقاء « الاتحادى الديمقراطى » ومن البديهى ان ينظر فى دستور الحزب بما يتمشى ورغبات التشكيل الجديد .

وكان من ضمن المواد التى طرحت للنقاش المادة الخاصة بالنظام الجمهورى للسودان واستقر الرأى على ان تكون الجمهورية « رئاسية » والتزم « الرجل » ولكن الذين تعودوا على تشوية مثل هذا الموقف اعتبروا ذلك تراجعا وتخاذلا ولولا بقية من حياء لقالوا « تذبذبا » ولما امتلأ الجو بمثل هذه الشائعات اجرى الاستاذ

«محمد النوراني» تحقيقا صحافيا مع « الرجل » نشر بجريدة « الصحافة الغراء » أوضح فيه « الرجل» ما غمض من الأمور وكان اهم تلك الايجابات اجابته عن موقفه المتحول من النظام الجمهورى ، وكيف انتقل من اعتقاده بصلاحية الجمهورية البرلمانية الى الجمهورية الرئاسية ، فقد اثبت بجلاء ان هذا لا يعد تحولا ولا تراجعا عن اعتقاده السابق ، بل هذا يعتبر قمة الديمقراطية حيث كانت فى حزب الشعب الاغلبية تؤمن معه بالنظام البرلمانى ، اما الآن فى الاتحادى الديمقراطى فالاغلبية تنادى بالنظام الرئاسى ، فاذا كنت الآن ادعوا للجمهورية الرئاسية بالقدر الذى ناديت به من قبل للجمهورية البرلمانية فأننى بذلك اكون متمشيا مع اسمى صفات الديمقراطية وهى ديدنى فى الحياة فقد كنت رئيسا لحزب الشعب الديقراطى واصبحت الآن نائبا لرئيس الحزب الاتحادى الديمقراطى .

ويقينى لو كان « للرجل » موقف غير ذاك لوصفوه بالدكتاتورية والأنانية.. وحب الذات وهو والحمد لله ابعد ما يكون عن هذه الصفات وكيف يرضى لنفسه ان يكون « دكتاتورا » وهو الذى

حارب الدكتاتورية ما ينيف عن عشر سنوات ؟
وكيف يقبل ان يكون « انانيا » وهو الذى عارض من كان يقول « لمن يهمهم الأمر سلام » ؟ ؟
وكيف « يحب ذاته » وهو الذى قبل ان يتنازل عن رئاسة حزب الشعب الديمقراطى وهو فى أوج علاه يملأ جهاده الآفاق .. ويدعى بامجاده فى المؤتمرات العالمية ، وليراجع من يعارض قرارات مؤتمر « كوبا » ومؤتمرات التضامن العربى ، ومؤتمر « السلام » الذى عقد برئاسة « الرجل » فى الخرطوم قبل ثورة مايو ببضعة شهور لمساندة ثوار انجولا وموزبيق .. وغنيا .. وزامبيا ، الذى دعت الى عقده منظمات التضامن الآسيوى الافريقى والدفاع عن الحريات ، والذى حالفه النجاح وكان من اوائل المؤتمرات التى شهدها السودان وحققت النجاح فى عصر ما قبل الثورة بالرغم من ان الشيوعيين قد شنوا عليه حربهم ودعاياتهم الرخيصة حينما لم يستطيعوا ان يسيطروا عليه لمصلحتهم .

تنازل « الرجل » عن كل ذلك لرأب الصدع فى الصف الوطنى الذى صنع الاستقلال والذى ينتظر الشعب منه تحقيق ما تبقى من الآمال ، فهل

بعد تلك التضحية مع غيرها من تضحيات مكان فى قلـــب « الرجـل » لحــب الــذات ؟ ؟ ؟ ان موقفــه الاخير ليعرب عن مدى ايمانه بأن :

رأى الجماعة لا تشقى البلاد به

رغـم الخـلاف ورأى الفـرد يشقيـها

❋ ❋ ❋





ثورة أم انقلاب ؟

كان « الرجل » شعبيا بمعنى الكلمة وكان محبوبا من جماهير الشعب الذى خاض معه اكثر من معركة .. وتجاوب معه فى اكثر من مسيرة .. ولبى نداءه لأكثر من موكب وبالرغم من اعتقال سلطات مايو له مع بعض زملاء دربه وخصوم اتجاهه السياسى كان هو الاكثر شعبية حيث امتلأت داره بالعديد من وفود المقيمين والوافدين وبعد ان حددت اقامته بمنزله ووضع الحراسة على المنزل للحيلولة بينه وبين لقاء المواطنين ظل المواطنون على وفائهم له يتكبدون مشقة السفر وعناء المواصلات ليطمئنوا عليه وليحظوا بمقابلته والتحدث معه وكثيرا ما كان المنوط بهم حراسته يستجيبون لرجاء الوافدين فيسمحون لهم بمقابلته ولو لدقائق لأنهم من الشعب أولا وآخيرا ويقدرون ظروف الوافدين وحق قدر « الرجل » .

وفى هذه الاثناء وبعد رفع الحراسة كان المخلصون للوطن واواثقون فى نزاهة رأى «الرجل » كثيرا ما يطلبون منه ابداء رأيه فى ثورة مايو ، وهل بحق ثورة ام انقلاب عسكرى ؟ واسئلة اخرى حول هذا الموضوع فكان « الرجل » يجيبهم ، ولكن الذين لم يعرفوا رأيه كثيرون ، فعمل على نهج السادة الصوفية وشيوخ العلم الذين اذا سئلوا عن مسألة وعرفوا انها تفيد الناس كتبوا فيها « رسالة » حتى تعم فائدتها ، فألف كتابا فى هذا الخصوص جعل عنوانه « الديمقراطية والاشتراكية فى السودان » وقد تضمن فصلا كاملا عن تقييم ثورة مايو - انقله هنا بنصه - وكان فى استطاعتى ان الخص ذلك الفصل ولكنى آثرت ان يتمتع المطلع عليه بمعرفة ذوق « الرجل » فى التعبير أو مدى بلاغته فى الوصف .. وقدرته فى اصدار الحكم بعد المداولة .. وسلاسة اسلوبه .. وكيف تنقاد له الكلمات وتحتشد امامه لينتقى منهاما يملأ كتابه علما وادبا يفيد القارئين ، كما تحتشد امامه الجماهير فيجعل منها بركانا يحرق المستعمرين .

* * *

تقييم ثورة مايو الاشتراكية :

لابد لمن يقرأ هذا الكتاب ان ينتظر منى ان اضع بين يديه صورة متكاملة لثورة مايو الاشتراكية التى يحوم حولها كل ما دون بهذا الكتاب من آراء وتعليقات . ولكنى اعترف بأنه ليس فى مقدورى ان أقيم الثورة تقييما كاملا يحدد ابعادها ويتتبع جذورها ويسبر غورها لأن هناك جوانب خفية على زوايا اجهل ما تخفيه وراءها من اقوال وافعال . وبحسب القارئ ان يعلم انى اجهل ما يدور داخل القوات المسلحة من افكار وتيارات فقد كنت حريصا على الابتعاد عن الخوض فى شئون الجيش الا ما يتناوله البحث والدرس داخل مجلس الوزراء او داخل مجلس الدفاع من الشئون الرسمية الداخلة فى اختصاص هذين المجلسين وكان من رأيى ان من مصلحة الجيش نفسه ان لا ينغمس فى التيارات السياسية والصراعات الحزبية وكنت اتألم من سلوك بعض السياسيين الذين يرون ضرورة الاتصال بالقوات المسلحة لتأييد سياستهم او لمناهضة سياسة خصومهم . بحسب القارئ ان يعلم ذلك ليعذرنى اذا قلت انى لا استطيع تقييم الثورة تقييما جامعا مانعا مادام العنصر الرئيسى فى تقييم هذه الثورة هو القوات

المسلحة وموقفى منها هو ما شرحت ولكنى ملم الماما كبيرا بكل ما يحيط بالثورة فى المجالات الشعبية والتيارات السياسية والاسباب التاريخية والصراعات الحزبية والتدخلات الاستعمارية لذلك فان فى مقدورى ان اضع امام القارئ صورة اعتراف كما قلت آنفا - انها غير متكاملة - ولكنى اؤكد انها قريبة من الكمال لأن مراقبة التطورات وتتبع ما يدور فى المجتمعات والأوساط سواء فى المجالات الرسمية او المجالات الشعبية وتفاعل الاحداث ورصد التحركات الاستعمارية فى داخل السودان او خارجه وما يقوم به عملاء الاستعمار كل ذلك لابد ان يلقى الاضواء الكاشفة على كثير من الزوايا والمنحنيات فتتكشف امام السياسى الذى يعيش وسط تلك التطورات حقائق كثيرة واحداث مثيرة تجعل فى مقدوره رسم الصورة القريبة من الكمال .

وينبغى - قبل ان نسترسل فى الحديث - ان نوضح بجلاء ان هناك فرقا كبيرا بين الانقلاب والثورة والانتفاضة الشعبية - فالانقلاب ان تقوم جماعة عسكرية او مدنية فتقفز فى غفلة من الزمان الى مواقع السلطة بطريقة أو اخرى دون ان يكون لديها خطة مرسومة او تخطيط متفق عليه لتحقيق

مصلحة عامة للشعب بل كل ما ترمى اليه تلك الجماعة هو الحكم والتسلط وغالبا تحاول تلك الجماعة عندما تجلس على كراسى الحكم ان توهم الشعب انها انما تقوم بحركة اصلاحية وانها جاءت لخدمة الشعب وتحقيق مصالحه ولكن سرعان ما ينكشف امرها امام الشعب مهما كانت تلك الجماعة المتسلطة ذكية ومقتدرة فالشعب اشد ذكاءاً واعلى مقدرة - والانتفاضة ان يشعر الشعب بغبن شديد وظلم مستحكم واهمال بالغ ويتلفت فلا يجد امامه تنظيما او جهازا يوجهه ويقوده فيثور ثورة عارمة غير مركزة او منظمة فيطيح بالحاكمين الذين ارهقوه وظلموه ثم يتلفت فلا يجد امامه خطة ولا برنامجا ويتخبط فلا يجد من بنيه قائدا ولا زعيما ولا موجها وفى هذه الحال قد يبادر فرد او جماعة فيتسلم السلطة ولكنه يعجز عن السير بها خطوات فتجمع الرجعية او الاستعمار او هما معا فتزيح ذلك الثائر العفوى عن الطريق وتعود الحياة الى ما كانت عليه من قبل الانتفاضة من سوء وفساد ، والثورة ان يشعر الشعب شعورا قويا بأن احواله السياسية والاقتصادية والاجتماعية قد ساءت ولابد من اصلاحها ويشعر ايضا ان الجالسين على مقاعد السلطةلا يريدون اصلاح تلك الاحوال اما عامدين

او عاجزين فتتصدى فئة من ذلك الشعب لاحداث تغييرا اساسى فى حياة ذلك الشعب لتنشله من ذلك السوء وتضع اقدامه على السراط السوى ليتجه الاتجاه الصحيح ويسير قدما الى تحقيق اهدافه وتكون هذه الفئة على اهبة الاستعداد للوثوب الى مقاعد السلطة حينما يتهيأ الجو وتساعد الظروف . وبمجرد وثوب تلك الفئة الى كراسى الحكم يسارع الشعب بالالتفاف حولها وحمايتها وبذل كل طاقاته لتنفيذ توجيهاتها .

وقد مارس السودان منذ استقلاله هذه الحركات الثلاث - فحركة الجنرال عبود وصحبه انقلاب دون ادنى شك . وهو انقلاب فريد فى نوعه فهو فى واقع الأمر انقلاب مدنى جاء فى ثوب عسكرى فمن المؤكد ان اتفاقا تم فى جنح الظلام بين كبراء بيت المهدى وزعماء حزب الأمة وبعض كبار ضباط الجيش والسفير الاميركى بالخرطوم والسفير الاميركى بالقاهرة بان يسلم رئيس الحكومة السيد عبد الله خليل مقاليد الحكم للجنرال عبود وصحبه وتمت عملية التسليم والتسلم بموافقة ورضاء رئيس الحكومة عبد الله بك خليل قبيل فجر ١٧ نوفمبر سنة ١٩٥٨ فى شكل انقلاب عسكرى منظم وحصل كل ذلك لا لضرورة تغيير فى حياة الشعب

بل لاحساس هؤلاء المتآمرين ان الحكم سينتقل من عبـد اللـه خليل وحـزب الأمـة الـى ايدى رجـال الحـزب الوطنـى الاتحـادى ورجـال حـزب الشـعب الديمقراطى مؤتلفين فجاء هذا الانقلاب منعا لحدوث التغيير المتوقـع وابقـاء للحكـم فـى أيـدى الرجعيين فليـس وراء هـذه الحركـة الا الابقـاء علـى الحكـم الرجعى واستمراره .

وفـى اكتوبـر سـنة ١٩٦٤ ضـاق الشـعب ذرعـا بـالحكم الدكتـاتورى العسـكرى ولاقـى عنتـا ومشـقة حتـى عيـل صـبره وتلفت فلم يجد تنظيما او جهازا او قـائدا فـانتفض انتفاضـة المظلـوم المغلـوب علـى امره الذى سدت امامه المنافذ فضاقت عليه الأرض بمـا رحبـت فكـانت تلـك الانتفاضـة فيضـانـا غمـر الشـوارع والمبـانى واضرابـا شـمل المصـانع والمـزارع وهجومـا تخطـى الحواجـز والمتـاريس فوجد الجيش الحـاكم نفسـه محاطا بالشعب الاعزل فلـم يكـن امامـه الا التسـليم وتقدمـت الانتفاضـة بعـد انتصارهـا وهـى فـى حيرة مـن الأمـر فليست هناك خطة وليست هناك فكرة فعمدت الى بعض المواطنين دون تمييـز او اختيـار وسـلمتهم زمـام الحكـم فلـم يسـتطيعوا حمـل الأمانـة ولـم يقـدروا علـى تحمـل المسئولية لأنهم لـم يعـدوا لهـا عدة ولا وضعوا لها

خطة ولا حسبوا لها حسابا فانتفضت الرجعية عليهم وازاحتهم دون عناء عن مقاعد السلطة فى ساعات معدودات وعادت الحياة الى سيرتها الأولى فتجمعت الاحزاب التى سبق ان جمدت حكومة عبود نشاطها وتحركت التنظيمات الشعبية والمنظمات الفئوية وتجمع الضباط والجنود الاحرار وبدأت كل هذه الهيئات تتحرك سرا وجهارا فى طرق متعارضة فاشتدت الصراعات وكثرة المؤمرات وانتشرت الاشاعات وتبرم الشعب واستولى عليه القلق فتقدمت طلائع الضباط الاحرار فى غسق الليل واحتلت مقاعد السلطة بقوة السلاح وما كادت تشرق الشمس حتى اعلنت الثورة اتجاهاتها العربية ودستورها الاشتراكى ثم شرعت فى تنفيذ ذلك الدستور والسير فى ذلك الاتجاه العربى فهى ثورة عربية اشتراكية جاءت نتيجة عمل وطنى متصل الحلقات اشترك فيه وطنيون مخلصون عديدون اغلبهم من رجالات الاحزاب السابقة وتضافرت على تكوينه جميع قطاعات الشعب وامتدت جذوره القريبة الى ثورة اللواء الابيض سنة ١٩٢٤ بل غاصت تلك الجذور الى الاعماق الى اول تجمع عربى حول مدينة سنار فى ايام السلطنة الزرقاء .

ذلكم هو الوضع العام للثورة الاشتراكية وما سبقتها من انتفاضة شعبية ومن انقلاب رجعى - ولكن تقييم الثورة فى اطار هذا الوضع العام يقتضينا ان نطرح السؤال الآتى لأن فى الاجابة عليه فتح النافذة التى تمكن القارئ من رؤية ملامح الثورة والسؤال هو :

هل قامت هذه الثورة نابعة من تنظيم شعبى ضم جماعة من المدنيين وجماعة من العسكريين فى طليعتهم هؤلاء الذين فجروا الثورة ؟ ام قام بها هؤلاء العسكريون منفردين ومن تلقاء انفسهم لاحساسهم بسخط الشعب وتذمره ورغبته فى تغيير احواله واصلاح شئوونه ؟ ؟ .

يقول بعض المراقبين السياسين - ان هناك تنظيما سريا داخل القوات المسلحة وهو المعروف بتنظيم الضباط الاحرار وهو الذى حال بين قوات عبود وبين اطلاق النار على الثوار فى انتفاضة اكتوبر وهو الذى قام اثناء الحكم العسكرى الدكتاتورى بحركة ثورية ترمى الى تخليص الشعب من تلك الدكتاتورية ولكن تلك الحركة الثورية باءت بالفشل فراح ضحيتها خمسة من خيرة الضباط هم البكباشى على حامد والبكباشى

يعقوب كبيدة والصاغ عبد البديع على كرار واليوزباشى طيار الصادق محمد الحسن واليوزباشى عبد الحميد عبد الماجد وسجن وشرد بسبب تلك الثورة جماعة من الضباط .

واخيرا استرد الضباط الاحرار موقفهم واعادوا تنظيمهم وارتبطوا بتنظيم شعبى من المدنيين وخططوا معا للثورة الاشتراكية فلما تهيأ الجو وثبوا الى مواقع السلطة بالقوة - ولكن لسائل يسأل - واين ذلك التنظيم الشعبى المدنى الذى تعاون مع اولئك الضباط ؟ ؟ ان التنظيمات الشعبية التى كانت قائمة قبل الثورة كانت معروفة لدى الجميع وليس من بينها تنظيم ارتبط بالقوات المسلحة فيما تعلم فقد يتم الارتباط سرا مع فرد أو افراد محدودين من الأقارب او الاصدقاء فى الخفاء اما ان يتم تنظيم على نطاق التنظيمات الشعبية كالأحزاب او الاتحادات او النقابات ويبقى قائما فى الخفاء فأمر يناقض طبيعة الاشياء فى مجتمعنا السودانى .

ويقول بعضهم ، ان الثورات التى قام بها الشيوعيون فى كثير من البلاد كان يسبقها دائما تنظيم حزبى شيوعى ويعمل ذلك التنظيم فى خطين

خط يتجه نحو العمل فى تأسيس وتقوية التنظيمات الحزبيـة كتكوين اللجـان وعمـل وتدريـب الكـوادر وتوسيع القـاعدة الشـعبية للحـزب الشيوعى وتسـرب كـوادره داخــل القطاعــات الشــعبية المختلفــة وخصوصـا داخـل القـوات المسلحة مـن جيش او بوليس - والخـط الثـانى يتجـه نحـو تهيئـه جو ملئ بـالقلق وعـدم الاستقرار فيقـوم بتدبير المؤامـرات وخلـق الاكـاذيب ونشـر الاشـاعات وتوجيـه الشـكوك والأتهامـات الـى غير ذلـك ممـا يجعـل البـلاد فـى فوضـى وارتبـاك ويجعـل الشـعب فـى قلـق وسـخط وعـدم استقرار وحينمـا يصـل كـل مـن الخطين الى نقطة معينة بأن يتم احكام التنظيم من جهة ويثور الغبار في وجه الحاكمين من جهة اخرى يشيرذلك التنظيم الشيوعى الى جناحه العسكرى ان قد حانت سـاعة الصفـر فينتفض ذلـك الجنـاح بسلاحه وعتاده ويحتل مواقع السلطة ثم يندفع التنظيم بكلياته فيحيط بـالثورة ليحميهـا وليمـارس الدكتاتوريـة الثوريـة حـاملا رايـة الاشـتراكية الماركسـية المرحليـة التـى تعتبر كـل مواطـن لا يديـن بالماركسية مـن اعضـاء الثــورة المضـــادة . ويتســـاءل الشـــيوعيين الذيـــن يقومون بهذا التحليل للثورات الشيوعية التى قامت فـى البـلاد الاشـتراكية - هـل مـا حـدث فـى السـودان

٢٥ مايو سنة ١٩٦٩ هو من هذا القبيل ؟ ؟ وقد يجيب بعضهم صراحة او تلميحا ان ما جرى فى السودان يطابق من كل الوجوه ما جرى فى الاقطار الاشتراكية من ثورات شيوعية فالحزب الشيوعى السودانى والمنظمات التابعة له قد بلغت درجة كبيرة من التنظيم قبيل ثورة مايو وتلبد الجو السياسى بالغيوم وانتشرت الاشاعات واستشرى الفساد وساد القلق والسخط فكان من البديهى ان يتصل الشيوعيون المنظمون بالعناصر المتجاوبة معهم فى القوات المسلحة من الضباط الوطنيين شيوعيين او غير شيوعيين ليشجعوهم على تفجير الثورة المسلحة لتغيير الاوضاع وها هو الحزب الشيوعى السودانى وملحقاته قد التقت بالثورة بمجرد قيامها دون تردد لأنها ثورية ولأنه مشترك فى تفجيرها وها هى الثورة نفسها تؤكد صحة ما يقولون فتقوم على حل كل الاحزاب والمنظمات مستثنية حزبهم ومنظماتهم واصفة جميع الوطنيين بالفساد ماعدا الشيوعيين من قادة الاحزاب والمنظمات .

ويقول بعضهم ان هناك تنظيما فى القوات المسلحة وهو تنظيم الضباط الاحرار ولكنه كان

بمعزل عن اى تنظيم شعبى مدنى فالقوات المسلحة بحكم اوضاعها وقوانينها الصارمة وضبطها وربطها مغلقة على نفسها لا تكاد تتصل بالاوساط الشعبية الا فى نطاق ضيق جدا ولابد ان تكون صلتها بالسياسة او نقد أوضاع الحكومة القائمة فى مجال محدود جدا وفى تكتم وسرية محكمة وبحسب التنظيم السرى للضباط الاحرار ان يتمكن من الاتصال السرى مع افراد القوات المسلحة نفسها ممن هم خارج التنظيم وممن تمكنهم ظروف عملهم وسكناهم من اللقاء السرى بهم غير ان القوات المسلحة مع ابتعادها عن اللقاءات الشعبية فهى من صميم الشعب عن طريق الأهل والجيران والاصدقاء - فهذا التنظيم العسكرى الذى قوامه الضباط والجنود الاحرار دون غيرهم ظل يراقب احوال الشعب عن بعد ويتابع مؤامرات المتآمرين وفساد الفاسدين او الصراعات الحزبية والتناقضات المذهبية ويحس بضيق الشعب وقلقه فلما رأى ان السيل قد بلغ الزبى وان الفساد قد طغى واستمع الى صراخ الشعب وانينه وتلهفه للانقاذ من السوء الذى يعانيه وقام ذلك التنظيم او بعبارة اصح قامت طلائعه بالثورة وتسلمت الحكم بالقوة واعلن قادة الثورة فى اول لحظة من استيلائهم على كراسى

الحكم مبادئ الثورة واهدافها وخط سيرها . وكانوا يتوقعـون ان جميـع الوطنييـن المخلصيـن مـن قطاعات الشعب المختلفة سيبادرون ويلتفون حول الثـورة ولكنهـم دهشـوا حينمـا تقـاعس الكثـيرون واحجم المخلصون واندفع نحوهم الشيوعيون - فإذا قصر بعض الوطنيين وتباطأ بعض المخلصين فهم الملومون ومع ذلك فلا يزال الباب مفتوحا على مصراعيه وفى العمل الثورى متسع للجميع .

وانى ارجح ان القول الاخير هو الواقع فالثورة ثـورة اشـتراكية عربيـة وليسـت بشـيوعية ولا ماركسية قد اعلنت ذلك منذ البداية فى صراحة كاملة ووضوح فاذا اراد - الشيوعيون ان يتبنوها بحجة ان الخطـوات التـى سـبقتها او التـى سلكها الحزب الشيوعى السودانى ومنظمات قبيل الثورة جاءت مطابقة من كل وجه للخطوات التى سارت عليه الثورات الشيوعية فى البلاد الاخرى فقد تتشـابه الخطـوات وتتفـق الاسـاليب وتلتقـى طـرق الكفـاح ووسـائل النضـال مـع اختـلاف الأغراض والأهداف .

واذا كـان الوطنيـون مـن قطاعـات الشـعب المختلفة قد تقاعسوا فان سبب ذلك ان الشيوعيين

بادروا فضربوا حول الثورة نطاقا واقاموا من حزبهم وصيا على الثورة وقالوا بلسان الحال وربما قالوا ايضا بلسان المقال انهم خططوا للثورة واعدوا تنظيماتها فهى ثورتهم فليس لغير الماركسى مكان فى الثورة - وارتكبت الثورة خطأ كبيرا جعل الجماهير الوطنية - غير الشيوعية - يقتنعون بما يدعيه الشيوعيين ذلك حينما اعلنت حل جميع الاحزاب والمنظمات واستثنت الحزب الشيوعى والمنظمات التابعة له وحينما انبرت تشن حربا شعواء على جميع المواطنين دون استثناء وتصفهم بكل انواع السوء والفساد فجميع قادة الاحزاب وكل من تلوث حزبيا من الجماهير وكل من جلس فى مقاعد البرلمان وكل من جلس فى مجلس الوزراء كل هؤلاء قد خانوا الشعب وسرقوا قوته وعاثوا فى الارض فسادا فينبغى ابعادهم وطردهم من ميادين الحياة الشريفة فشعر الجميع - مع ايمانهم بالثورة وموافقتهم على مبادئها وثقتهم فى رئيسها - شعر الجميع انهم ادينوا وانهم ظلموا وان الثورة وضعتهم رغم انفهم فى صف الاعداء وفى نفس الوقت احتضنت الثورة الحزب الشيوعى ومنظماته فابقتهم دون غيرهم يصولون ويجولون فهم يخطبون فى كل ميدان ويعقدون الندوات فى كل

الاحياء ويتصلون بما يشاعون فهم فصيلة الثورة التى تستحق كل رعاية وكل عناية - فانقسم الشعب ازاء الثورة الى ثلاث فئات فئة ناصرت الثورة والتفت حولها وقبلتها الثورة ورحبت بها وهم الشيوعيون والانتهازيون وقليل من الوطنيين المخلصين ، وفئة لم توافق على مبادئ الثورة فهى ضد الاشتراكية وضد الاتجاهات العربية وهم جماهير حزب الأمة والاخوان المسلمون الحزبيون وفئة تضم العدد الكبير من الوطنيين المخلصين الذين كان لنضالهم اليد الطولى فى - تحرير البلاد من الاستعمار وارساء قواعد الاستقلال وحماية البلاد من الانزلاق فى مهاوى المؤامرات وانقاذ الشعب من المؤسسات الاستعمارية والمشاريع الاحتكارية قبل الاستقلال وبعد الاستقلال وهى الفئة التى تعتبر القاعدة الرئيسية للاتجاهات العربية والعنصر الاساسى الذى عبد الطريق للاشتراكية وحول التجارة والصناعة والاعمال من البلاد الرأسمالية الى الاقطار الاشتراكية وهذه الفئة مع اهميتها واصالتها ووفرت عددها واقتناعها باهداف الثورة تقف الآن موقفا سلبيا مجمدة نشاطها مكتفية بالوقوف موقف المتفرج وهى متألمة كل الألم لموقفها شاعرة كل الشعور بأنه موقف غير كريم

ولا يليق بالوطنى المخلص ولكنهم فى حيرة من الأمر فمن جهة يلاحظون ان الثورة فى كثير من الاحيان تتصرف تصرفا يوحى بأنها سائرة فى الاتجاه الشيوعى فى حين انها تصرح باستمرار انها اشتراكية عربية وتخطوا فى عديد من الخطوات فى الطريق العربى والسلوك الاشتراكى النابع من واقع الشعب ودينه وخلقه فهذا الموقف المتأرجح يجعلهم يتريثون فيظلون محافظين على موقفهم السلبى يراقبون - واحيانا يقولون - كيف نتقدم ونمد يدنا للثورة وهى مستمرة فى وصفنا بالسوء وادانتنا على رؤوس الاشهاد ؟ وكيف نتقدم اليها وهى واقفة مكانها لا تريد ان تمد يدها مع ان الواجب يقضى على من هو فى مركز القوة ان يبدأ الخطوة الأولى ؟ ومن اين لنا لو مددنا يدنا ان يفسر ذلك تفسيرا صحيحا ولا يقال لنا ما قيل لبعض الوطنيين الذين رفعوا شعارات الاتجاه العربى فقيل له انكم ثورة مضادة تختفى وراء هذه الشعارات ؟ ان الشيوعيون يحتكرون الثورية والتقدمية فكل من عداهم فى نظرهم رجعى كأنما التقدمية فى نظرهم لفظ يرادف الماركسية . وكل عمل وطنى يشتركون فيه يدعون انه عملهم وحدهم وينكرون على شركائهم اى فضل فيه وكل جماعة

تعمل معهم يتسلقون على اكتافهم ثم يزعمون انهم هم صانعوها وهم قاداتها ونحن لا نقصد من هذه الايضاحات الصريحة لمواقفهم واخلاقهم ابعادهم من الميدان ولكننا نريد ان يعرفهم الناس على حقيقتهم فلا ينخدعوا باقوالهم وتحركاتهم ونريد منهم ان يعلموا ان السواد الاعظم من الشعب السودانى لا يمكن ان يعتنق الشيوعية ما دام فى قلوبهم محل للايمان وما دام فى سلوكهم مكان للاسلام واذا تمسك الشعب بالاشتراكية فذلك لأنها تتفق مع الاسلام وتخضع لتشريعه ولو اراد الشيوعيون ان يفسروا كلمة « علمية » فى وصف الاشتراكية بأنها اشتراكية علمية لو ارادوا ان يفسروا معناها التفسير الذى يذهب اليه الشيوعيون والذى يخرجها من دائرة الاسلام فأن الشعب السودانى سيكفر بتلك الاشتراكية ويقضى عليها اما الاشتراكية التى نتمسك بها وندعوا اليها ونجد فيها الحل الصحيح لمشاكل الشعب الاجتماعية والاقتصادية فهى الاشتراكية النابعة من واقع الشعب ودينه وخلقه وهى الاشتراكية التى يدعو لها الاسلام وتنطبق على فلسفته وتعاليمه واننا لا نريد ابعاد الشيوعيون من الميدان ولكن عليهم ان يعلموا انهم قطاع صغير ينحصر عددهم فى اربعين

أو خمسين الفا من المواطنين لا أكثر . من ذلك واين هذا العدد من شعب يزيد تعداده الاربعة عشر مليون ؟ عليهم ان يعلموا ذلك فيضعوا انفسهم فى المكان الذى يناسب مع وضعهم وبذلك خير لهم وابقى لمجتمعهم فقد كان الشعب فى حاجة اليهم ايام الاستعمار يستفيد من نضالهم وكفاحهم ولا يلتفت كثيرا الى فلسفتهم واتجاهاتهم اما الآن فاصحاب الفلسفة التى تتمشى مع واقع الشعب وعقائده وتقاليده هم الذين يقبلهم الشعب ويسير خلفهم ويستمع الى توجيهاتهم والشيوعيون بدون شك ليسوا من اولئك فى قليل او كثير فعليهم ان يقفوا عند حدودهم .

وكان من جراء ذلك التقييم وابداء الرأى « مهما كان ذلك الرأى » ان اصدر المهيمنون على اجهزة الأمن فى ذاك الوقت من الشيوعيين امرهم بمصادرة ذلك الكتاب بعد وصوله مطار الخرطوم وكان المسئول الأول فى الثورة قد اطلع على اصول الكتاب قبل طبعه . ووافق على ما جاء فيه ، وترتب على تلك المصادرة فى السودان مصادرة اخرى فى القاهرة - وان كانت مصادرة

ادبية - حيث لم يبدى الذين فى قمة النظام اى اهتمام بالكتاب او مؤلفه وهو من هو عندهم قبل ثورة مايو ! ! .

ولم يتأثر « الرجل » بالطبع من هذه المصادرة هنا ومن تلك المجاملة هناك وان كانت كبدته خسائر مادية فادحة ، وكم تكبد من خسائر فى سبيل الوطن وتضحيات مادية ، غير ان الذى أثر فيه بحق هو كيف يحجر على رأيه وهو مواطن فى جمهورية السودان الديمقراطية ؟ ! ! .

* * *



الـى أيـــن ؟

« الى أين نحن سائرون ؟ »

هـل نسـير علـى طريـق الاشـتراكية العربيـة المنبثقة من واقعنا ودينا وتراثنا ، ام نحن سائرون علـى طريـق الاشـتراكية الماركسـية التـى سـتفضى بنا الى الشيوعية ؟ ؟ .

بهـذا السـؤال المعـبر عـن تطلعـات جمـاهير الاتحـاديين الديمقراطيـين العريضـة تجـاه ثـورة مـايو اختتم « الرجل » كلمته التى سجل فيها ملاحظاته على سير ثورة مايو بعد ما يقرب من عام ونصف وهـو يراقـب ببصـره وبصيرتـه .. باحساسـه وفطرته .. بوعيه وخبرته ما يصدر من قول قادتها ويقارن بافعـالهم فسجل كـل مـا جـال فـى خـاطره ليكون قد ارضى ربه وبنى وطنه ، واننى اذ اثبتها هنـا بنصها ليطلـع عليهـا مـن لـم يستطع الحصول

على الكتاب الذى تضمنها وهو « الديمقراطية والاشتراكية فى السودان » والذى وضعه «الرجل» ليعبر فيه عن رأيه دون خشية او رهبة وحتى يكون سجلا كاملا واعترافا مسجلا منه ارجو المعذرة فى حذفى المقتطفات الهامة التى استشهد بها « الرجل » من خطاب الرئيس القائد جعفر محمد نميرى امام القوات المسلحة ، فقد كتب « الرجل » بعد ان اورد نص البيان الأول للثورة يوم ١٥ مايو سنة ١٩٦٩ ما يلى :

ان كل وطنى مخلص استمع الى هذا الخطاب الضافى الذى وضح طريق الثورة ووضح المعالم البارزة على ذلك الطريق وحدد الغايات التى تتجه اليها البلاد وهى تسلك ذلك الطريق المستقيم الواضح ، ان كل وطنى مخلص استمع الى هذا الخطاب لايسعه الا ان يؤيد الثورة ويقف الى جانبها ويضع يده فى يدها ، واعتقد ان المواطنين قابلوا الثورة بعد سماع هذا الخطاب بحماس عظيم ولكنهم بعد فترة ليست بالطويلة بدأ الكثير منهم يفكر فى الأمر ويعيد النظر فى موقفه فقد تألفت الحكومة من عناصر متناقضة بعضها يسارى احمر اللون وبعضها يمينى اسود اللون ثم اخذت التعديلات الوزارية تتوالى وهى متمسكة بهذا

التناقض الذى قابله المواطنون بالحيرة ، ثم اعلنت الثورة بكل لسان ان الحكومات السابقة من يوم ان استقل السودان والى حين قيام الثورة لم تقدم للبلاد اى خدمة بل ظل السودان مهملا لا يعرف شيئا من الخدمات والاصلاحات وظل يتمرغ فى اوحال الفساد وانعزل عن العالم فاوصد ابوابه فلم يتصل بالعالم المتحرر ولا بالمؤتمرات التقدمية ولم يسمح لمنتجاته ان تجد طريقها للاسواق الخارجية ولا سمح للاقطار المتحررة ان تتعامل معه الى ان جاءت الثورة فوجدته مغلق الأبواب غارقا فى اوحال التأخر والفساد فانتشلته .

استمع المواطنون لهذا الحديث الذى ظل يتردد فى الصحف والأذاعات وفوق المنابر والتجمعات الشعبية فوقفوا موقف الحائر الذى لم يجد بدا من تصديق منطق الثورة والتشكك فى معلوماته الماضية مهما كان متأكداً من حقيقتها وصدقها حتى لا يعتبر من عناصر الثورة المضادة ، والواقع ان الثورة لابد لها من هذا المنطق فقد قامت لتبنى بناءا جديدا يختلف كل الاختلاف عن الابنية السابقة فلابد لها من تهديم القديم والحكم بأنه غير صالح للبقاء مهما كان موقف ذلك القديم ومهما كانت صلاحيته ولهذا تجد دائما ان منطق الثورات فى

كثير من الاحيان وفى كثير من البلاد يختلف كل الاختلاف مع منطق التاريخ بل ويناقضه فيصمت التاريخ وتنطلق الثورة تؤكد منطقها وتدعمه بكل وسائل الاعلام حتى اذا ما هدأت الاحوال واستقرت الثورة واصبحت ليست فى حاجة الى هذا الاسلوب ، بدأ التاريخ يتكلم بلغة الواقع التى تعطى القديم حقه ولا تبخس الجديد نصيبه واثقا من ان الاعتراف ببعض البناء القديم الصالح للعمران وابقاءه لمصلحة المجموعة لا يضير البناء الجديد الشامخ الاركان الوارف الظلال ففى المصلحة العامة متسع للجميع ـ ثم سلكت الثورة اثناء مسيرتها التى لم تتجاوز السنة والنصف مسلكا اشتراكيا لكنه فى كثير من الاحيان يسير على منهج الاشتراكية الماركسية ويجافى الاشتراكية العربية ، فالاشتراكية الماركسية اشتراكية مرحلية مهمتها ان تحدث تغييرا اساسيا فى المجتمع فتقلبه رأسا على عقب فتأخذ بيد طبقة العمال التى وجدتها فى الخط الاسفل للهرم الشعبى لتضعها فى قمة الهرم وتطيح بأولئك الذين كانوا فى القمة لتجعلهم اسفل سافلين ولاشك ان مثل هذا التغيير لايمكن ان يتم فى فترة قصيرة والا بأسلوب عنيف ونوع من الارهاب قد يصل الى اراقة الدماء فلا تعيش هذه

الاشتراكية المرحلية الا فى ظل الدكتاتورية الثورية الرهيبة ، اما الاشتراكية العربية فهى الغاية التى يسعى الشعب الى وصولها بين عشية وضحاها بل من طبيعتها الدراسة الهادئة والتغيير المتدرج دون عنف او ارهاب وسلوك الديمقراطية التى تجعل الشعب مقتنعا بخطوات التغيير قادرا على ان يخطوها فى اتزان وتمهل .

واذا قيل ان الاشتراكية العربية فى مصر بدأت مسيرتها بهذا الاسلوب العنيف فهناك فارق كبير بين حالة مصر قبيل الثورة الاشتراكية وحالة السودان قبيل ٢٥ مايو سنة ١٩٦٩ فقد كانت فى مصر عائلة مالكة غارقة فى الترف والنعيم وطبقة من الباشوات الاقطاعيين وعدد من اصحاب المصانع والمتاجر الرأسمالية وكل هؤلاء يعيشون فى ترف بالغ وهم عاطلون لا يمارسون عملا الا اصدار الأوامر واحتقار طبقات الفلاحين والعمال الذين يكدون ويكدحون ويعرقون ويتعبون ولا يجدون من العيش الا فتات الموائد وتذهب ثمرات اعمالهم الى موائد الامراء والنبلاء والباشوات واصحاب المصانع والمتاجر فكان لابد من تخفيض هذه الطبقة ورفع تلك الطبقات وذلك يقتضى بالطبع نوعا من العنف على ان الثورة المصرية لم تمارس العنف الذى تقتضيه هذه الفوارق العظيمة

بل تركت بعض هذه الثروات فى ايدى اصحاب الاملاك واصحاب المتاجر والباشوات والأمراء بحيث يستطيع كل منهم ان يعيش فى الحدود المعقولة عيشة كريمة اما فى السودان فليس هناك ملوك ولا امراء ولا باشوات بل ولا اقطاعيين او رأسماليون بالمعنى المعروف لهذه المسميات وحتى البيوتات التى يمكن ان يقال انها يمكن ان تحسب من الطبقات الاقطاعية او من البيوتات الرأسمالية فان عددها لا يتجاوز اصابع اليد الواحدة وان اغلب ثروتها من سلفيات البنوك واغلب ممتلاكاتها مرهونه للشركات والمصارف فكانت العدالة تقضى بضرورة التحقيق مع كل من تحوم حوله هذه الشبهات للتأكد من ثبوت استحقاقها على الاراضى والاموال بدون حق واكثر مما ينبغى كما كانت العدالة تقضى ايضا بترك جزء من ذلك المال او تلك الأراضى له حتى يعيش محفوظ الكرامة ما دام لم يثبت انه سرق او هرب ذلك المال .

فهذه المصادرات التى شملت الاجانب والمواطنين والتى لم تعدو الفرصة لنوع من التحقيق يخضع الاتهامات لميزان النفى والاثبات وهذه الأوامر « الدستورية » التى تجعل العقوبة فى كثير من الاخطاء الاعدام والمصادرة وهذه اقصى

ما يتصوره عقل من العقوبة وليس من المعقول ان تصل كل الاخطاء الى هذه الدرجة التى لا تتمشى معها عقوبة للسجن او الغرامة بل ولا يتمشى معها عقوبة الاعدام وحده او المصادرة وحدها يمكن واعتبرها ضرورية ومقبولة لو كنا شيوعيين نسلك طريق العنف للانتقال بسرعة الى مرحلة الشيوعية ولكن الشعب مقتنع من سماعه لخطاب الثورة الأول انه يسير فى طريق الاشتراكية العربية وان البلاد بوصولها لهذه الاشتراكية تكون قد وصلت الى نهاية الشوط - ولو علم الشعب انه يسير فى طريق الشيوعية لرفض المسير كما فعل الشعب المسلم فى « اندونيسيا » فقد سار سيرا حثيثا فى طريق الاشتراكية وراء زعيمة الاشتراكى « سوكارنو » الذى اراد ان يستعين بالشيوعيين ليحدث التوازن حتى يتغلب على الرجعية فترتفع البلاد الى مستوى الاشتراكية غير ان الحزب الشيوعى الاندونيسى سلك نفس السبيل الذى يحاول سلوكه الحزب الشيوعى السودانى فانحرف نحو الاشتراكية الماركسية فلما اكتشف الشعب فجأة ان الثورة انحرفت به الى طريق الشيوعية رفض المسير واطاح بالمنحرفين ولا يستطيع الانسان ان يعرف هلى سيرجع الشعب الاندونيسى الى طريق

الاشتراكية المتزنة ام سيرجع رد الفعل الى مهاوى الرجعية واغلب ظنى ان الطريق الثانى هو مصير هذه النكسة .

ويقول بعض الزملاء ان الاشتراكية فى الفلسفة الشيوعية خطوة مرحلية تتلوها الخطوة النهائية وهى الشيوعية وان الاشتراكية العربية التى يقولون انها ليست مرحلية بل هى نهاية الشوط تتفق مع الاشتراكية الماركسية اثناء هذه المرحلة اشتراكا تاما ولا اختلاف بين الاشتراكيين فى هذه الفترة ، بل يأتى الاختلاف فى المرحلة الثانية التى تنتقل اليها الاشتراكية الماركسية وتتخلف عنها الاشتراكية العربية ، ولكن هناك فرق كبير بين الاشتراكيتين فى هذه المرحلة فلابد للاشتراكية الماركسية ان تحافظ فى هذه المرحلة على بعض خصائصها وبعض العناصر التى تحتاج الى تنميتها للمرحلة التالية كما لابد ان تتجنب بعض الخطوات التى تفضى بها فيما بعد الى الانحراف عن الشيوعية ، فمثلا الاشتراكية الماركسية لابد ان تتجنب الأهتمام بالتربية الدينية التى تقود الشعب الى الايمان بالله والقضاء والقدر والبعث والنشور والعقاب والثواب فى الحياة الآخرة لأن هذه التربية اذا تعمقت فى نفوس الشعب لا يمكن ان تجد

الشيوعية الى مجتمعه سبيلا وذلك بعكس الاشتراكية العربية التى تقوم اساسا على هذه التربية وعلى هذه العقائد .

صحيح ان الاشتراكيتين الماركسية والعربية تشتركان فى الاسس الأقتصادية والاجتماعية ويعملان على التقريب بين طبقات الشعب وازالة اسباب الاستغلال والارهاب والسيطرة وتحرير الأنسان من كل العوامل التى تنحرف بتفكيره رغبة او رهبة ولكن لابد ان يهتم كل واحد منهما بالعناصر المتمشية مع طبيعتها وتحارب العناصر التى تعوق مسيرتها ومن هنا يأتى الفارق بين الاشتراكيتين الماركسية والعربية فى الفترة المرحلية للشيوعية .

والملاحظ ان الثورة بعد مسيرتها اكثر من عام وظهور التناقض التى اشرت اليها وهى تأليف حكومة الثورة من عناصر يمينية وعناصر يسارية مع بعض العناصر المعتدلة وسلوك الطريق الذى لا يخلو من العنف والأرهاب وسن بعض القوانين التى تحمل روح الدكتاتورية الملاحظ ان الثورة ادركت او سمعت هذه المآخذ فأرادت ان تؤكد للجميع انها حريصة على الحفاظ على دستورها

الاساسى الذى تضمنه خطابها صبيحة يوم الثورة سائرة فى طريقه مصممة على عدم السماح بالانحراف بها يمنة ويسرة فالقى السيد الرئيس خطابا ضافيا فى حفل التكريم الذى اقامته له القوات المسلحة وكان خطابا عظيما جدا وتأكيدا صريحا لألتزام الثورة السير وفق دستورها الاساسى ويزيد هذا الخطاب العظيم اهمية فوق اهميته انه القى امام رجال القوات المسلحة منبع الثورة ومصدر الوحى للثورة وحماة الثورة من كل اتجاه فجاء الخطاب معبرا بحق عن تمسك القوات المسلحة بدستور ثورتها الاساسى مؤيدة رئيسها فى كل كلمة اشتمل عليها ذلك الخطاب .

وكما لاحظ الشعب ان مسلك الثورة بعد دستورها الاساسى الذى تضمنه الخطاب الأول قد بدأ ينحرف نحو اليسار المتطرف وان الشيوعيين قد ضربوا نطاقا حول الثورة وعزلوها عن العناصر الوطنية واوهموها ان كل العناصر غير الشيوعية انما هى ثورة مضادة ثم جاء الخطاب الاخير ليبدد تلك السحب القاتمة حتى تتضح الرؤية للجميع فيطمئنوا على الثورة الحريصة كل الحرص على عدم الانسياق وراء الشيوعيين الى اليسار المتطرف بنفس القدر من حرصها على عدم

الانحـراف نحـو اليميـن الرجعـى وانهـا ملتزمـة بخطهـا الاشـتراكى العربـى الـذى تضمنـه دسـتورها الـذى اعلنتـه فـى خطابهـا الأول ولكـن الشـعب كمـا لاحظ هذه الملاحظة بعد الخطاب الأول لاحظ الآن وبعد الخطـاب الثـانى ان الثـورة مـا تزال متأرجحة فـى سـيرها غير قـادرة علـى تجنب الانحـراف نحو الشـيوعية ممـا جعـل الكثـيرين يقفـون موقـف الحيرة امـام علامـة اسـتفهام كبـيرة لا تـزال مفتقـرة الـى الجواب ، نحن فى ثورة اشتراكية عربية ـ تلك هى الأهداف المعلنـة والتـى تتمسـك بهـا الثـورة وتعلنهـا فى كل ميدان وعلى كل لسان ولكننا نسلك سلوكا متأرجحا يغلب عليه السلوك الماركسى وعلى الأقل يتخلله ذلك السلوك شكلا وموضوعا فالى اين نحن سـائرون ؟ هـل نسـير علـى طريـق الاشـتراكية العربيـة المنبعثـة مـن واقعنـا ودينننـا وتراثنـا ام سـائرون علـى طريق الاشـتراكية الماركسـية التـى ستفضى بنا الى الشيوعية ؟ .

* * *





... ومواقف دينية

قد يظن البعض ان الجانب السياسى فى «الرجل» قد تغلب على الجانب الدينى فيه ، ولذلك شغل كل وقته بالمسائل السياسية والقضايا الوطنية ولم يشاهد فى كثير من الاوقات وهو يلقى محاضرة دينية او يكون عضوا فى ندوة علمية او مشتركا فى المؤتمرات الدولية ليدلى بدلوه ويعبر عن رأيه فيما يشغل العالم من امور ، ولكن فى حقيقة الأمر كان « الرجل » رجل دين ودولة ، وحب الوطن من الايمان ، ولهذا يبدو ان الجانب الدينى هو المسيطر على كل مايظهره من اهتمام بقضايا الوطن ومشاكل المواطنين « والرجل » عضو فى « مجمع البحوث الاسلامية » منذ تكوينه فى عام ١٩٦٠ « وللرجل » شهرته الدينية التى يعرف بها فى العالمين الاسلامى والعربى وقد دعى للاشتراك فى مؤتمرات عديدة منها الذى عقد فى « ليبيا » عقب ثورة الفاتح من سبتمبر عام ١٩٦٩

ولم تسمح له السلطات هنا بمغادرة البلاد ، وكذلك حدث له في عدة مؤتمرات لمجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة لأن المسئولين كانوا قد حددوا اقامته بمنزلة بعد ان اطلقوا سراحه من المعتقل ، وبالرغم من ذلك فقد نشر كتابا بعنوان « الاسلام يواجه الاستعمار والوثنية والصهيونية » يشرفني ان انقل منه هنا اقتراحا له كان قد اقترحه على علماء العالم الاسلامي المشتركين في احدى جلسات مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة فيما يجب اتخاذه من وسائل لتأهيل الدعاة للاسلام حتى يستطيعوا القيام بالواجب الملقى على عاتقهم خير قيام ، وليعلم من لايعلم مقدرة « الرجل » الفائقة وخبرته الرائدة في هذا الميدان ، ولعمرى لو ان المؤتمرين في المؤتمر العالمي للدعوة الاسلامية الذى عقد بالخرطوم في مارس عام ١٩٨١ قد وضعوا هذا الاقتراح في اجندتهم لكان لهم نجاح اى نجاح ، ويكفي « الرجل » مفخرة انه لم يكتنز افكاره في صدره ليظهرها في المؤتمرات حتى يكتب عنه الصحافيون في الصحف والمجلات ، بل نشرها في كتاب لتكون في متناول الجميع وامام اعين المسئولين والمصلحين والدعاة ، وهذا نص الاقتراح !

١ - ان عمل كل داعية يحتاج الى سهر وتعب فـى البحـث والاطـلاع والتـأليف والاعداد للدعـوة للاسلام فـى جميع الارجاء التـى لـم يعمهـا نـور الاسلام كالوثنية مثلا المنتشرة فى كل ركن من اركان المعمورة ، وكالمسيحية الاسمية المنتشرة فى كل مناطق اوربا وامريكا التى تشعر بفراغ روحى يهئ للاسلام فرصة سائحة لملئة ، وفوق ذلك لابد من القيام بثورة اصلاحية تعود بهم الـى الاسلام الحق وتزيل من اذهانهم واعمالهم وافعالهم ما جعلهم الآن ايضا مسلمين اسميا - ارى ان يسند أمر الدعوة الاسلامية الى نخبة من العلماء الباحثين ليكونـوا هم المسئولين عن اداء هذا الواجب وللوصول الـى ذلك ، ندعوا الـى مؤتمر عام يحضره عدد مناسب من كل بلد اسلامى لأطلاعهم جميعاً على هذا المشروع ، ثم يختار من كل بلد عضواً وعضوان أو على الأكثر ثلاثة اختياراً بعيدا عن المجاملة والترضيات ويلاحظ فى المختارين المؤهلات المختلفة والتخصصات المتنوعة وقبل ذلك الرغبة الصادقة فى القيام بهذه المسئوليات والاستعداد للسفر المتواصل والرحلات المضنية ويوكل لهذه الهيئة المختارة القيام بكل شئون الدعوة والارشاد فى كل بقاع العالم ووضع ما ينظم اعمالهم من لوائح وقوانين وما يسهل مهمتها من امكنة وازمنة .

٢ - ان القيام بالدعوة الاسلامية فى ارجاء العالم يتطلب اموالا طائلة ونفقات كثيرة وان من الخير ومن الواجب ان يساهم فى نفقات الدعوة الاسلامية جميع قادة المسلمين وان يشعر جميع القادة والرؤساء والملوك والمرؤسين ان نشر الاسلام أمر يهم الجميع وواجب ينبغى ان يضطلع به كل المستطيعين مما استخلفهم الله عليه من مال على ان لكل مساهم بقسط كبير من المال ان يضم الى هيئة الدعوة الاسلامية التى اشرنا اليها فى البند الأول رجلا من أولى الخبرة فى الحسابات والمراجعة المالية ليطمئن الجميع ان اموالهم تصرف فى مهماتها وبنظام مقبول ومتفق عليه .

٣ - ان الدعاة والمرشدين الذين تبعث بهم هيئة الدعوة لأداء مهمتهم ينبغى ان يشترك فيه المصلحون من خريجى الجامعات العربية والأوربية والاميركية فى اية ناحية من النواحى ولأن اعمالها تحتاج الى كل هذه القدرات وجميع هذه المؤهلات .

٤ - وعلى المسلمين انشاء كلية للاعلام والارشاد تكون ذات ثلاث شعب سواء قامت جنبا لجنب فى بناء واحد او متفرقة ، وسواء قامت جميعها او بعضها فى بلد اسلامى او حتى فى بلد غير اسلامى وتكون :

(أ) احدى هذه الشعب مختصة باعداد الدعاة الذين سيناط بهم الدعوة للاسلام فى المناطق الوثنية فيتلقون من الدروس قسطا وافرا مما يتعلق بعلمهم فيدرسون جغرافية البلاد الوثنية دراسة شاملة بحيث يقف الطالب على كل ما يتعلق بها من طبيعة ومناخ ونبات وحيوان وبحار وانهار ، ومدن وقرى ، وأمن وقلق واستقرار ، وما تنتجه من مزارع وحاصلات وما بها من امكانيات اقتصادية ومعدنية وصناعية ـ ويدرسون تاريخ تلك البلاد واجناس سكانها وخصائصهم وعاداتهم وتقاليدهم وعباداتهم وخرافاتهم ، وما تقلبت فيه من اطوار سياسية وتحولات اجتماعية ، ومن استعمار واستقلال ، ويقفون على علاقاتها بغيرها من الشعوب وصلاتها بالدولة الكبيرة والصغيرة ، وعلاقاتها بالعالم الاسلامى فى الماضى والحاضر ومجموعة ممن يعيشون بين ارجائهم من المسلمين واحوالهم الدينية ومذاهبهم العقائدية والتعبدية والصوفية ، وما بين اولئك المسلمين وبين الوثنيين فى تلك البلاد من علاقات وصداقات ونزاعات ، ومعرفة النشاط المسيحى فى ارضهم ومراكز الارساليات واجناسها ومذاهبها ونجاحها او فشلها ونظرة المواطن لها وعلاقاتها بالحاكمين وطنيين

كانوا أو مستعمرين ، ثم يدرس طلبة هذه الشعب بعض اللهجات المحلية الكبيرة ، ففى السودان مثلا لابد من دراسة اللهجات الدنكاوية .. والشلكاوية .. والنويرية .. والزاندية - وفى شرق افريقيا لابد من دراسة اللهجة الهوساوية ، وانى اعدد هذه اللهجات على سبيل المثال لا على سبيل الحصر .

(ب) وشعبة ثانية لاعداد الدعاة الذين يبعث بهم الى اوربا واميركا المسيحيتين. فينبغى زيادة على دراسة جغرافية تلك البلاد وتاريخها دراسة وافية ، لابد من دراسة تطوراتها فى الصناعة ومختلف العلوم وضروب الفنون ، على دراسة الزراعة والتجارة وكل مصادر الاقتصاد الأوربى ودراسة علاقات تلك الدول ببعضها وبالدول غير الأوربية وغير الاميركية ولابد من دراسة الاستعمار - قديمة وحديثه - وكيف نشأ والى اين انتهى وتفاصيل حملته فى كل بلد اسلامى وما احدثه فى المجتمع الاسلامى من تفكك وانحدار وتدهور وتخلف ، وما حملته الحضارة الغربية للعالم الاسلامى من فساد وشرور وما انتجته معاهد التربية والتعليم الواقعة تحت اشراف وتخطيط المستعمرين وعملائهم من مسخ شخصية الأمم الاسلامية واحتقار لمقوماتها ، ودراسة الشعب

الاميركى وتركيبه والعناصر الاوربية التى هاجرت اليه وامتزجت به وما وصل اليه من الصناعات الثقيلة والخفيفة والاسلحة الفتاكة والانحلال الخلقى الذى ظهر اخيرا فى جمعيات الهيبز - ثم دراسة الحروب الصليبية دراسة وافية وما ظهر فيها من تكتل مسيحى لأبادة الاسلام والمسلمين ، ومن تعصب اعمى وهمجية بالغة ، ثم ما قام به المسلمون بقيادة البطل صلاح الدين من ردهم على اعقابهم وقتلهم وأسرهم والقضاء على آثارهم واسترداد البلاد المقدسة الى اربابها بعد ان استلموها ردحا من الزمن - ثم يدرسون ايضا الخلافات المسيحية التى نشبت بين الكاثوليك والبرتستانت ، ثم الخلافات التى نشبت قبيل الحروب الصليبية وفى اثنائها بين الكنيسة الغربية فى روما وباباواتها وبين الكنيسة الشرقية الارثوذكسية فى الاستانة وما لحق الاخيرة من اضطهاد . وما نالها من معارك وحروب الى غير ذلك مما ينبغى ان يلم به الداعية الاسلامى فى تلك البلاد ، ثم اخيرا لابد من دراسة احدث التطور العلمى والتكنولوجى والفلسفى فى الصناعة والاختراع فى المجتمع الاوربى والاميركى ، وموقف الطبقات المستنيرة هناك من الدين

المسيحى، ونظرتهم للكنيسة وكهنوتها وتقاليدها وعباداتها ، وفهمهم للاسلام والمسلمين من خلال كتبه وفلسفته ومن خلال سلوك المسلمين واحوالهم وتخلفهم ، ونظرتهم للأديان على وجه العموم ، ثم دراسة الشيوعية وما يسبقها الآن من نظريات ماركسية وفلسفات لينينية والوقوف على نظراتهم للأديان عموما وفهمهم للدين الاسلامى ، واتصالهم الآن بالأمم المختلفة فى اوربا واميركا والعالم الثالث والبلاد المختلفة ، ثم دراسة الصهيونية نشأتها وفلسفتها وموقفها من المسيحية ومن الاسلام وأثرها فى تدعيم الاستعمار المسيحى ، وتاريخ فلسطين ومدى دعوة الصهيونية فيها وما جاورها من سوريا والعراق ولبنان والسعودية ومصر وموقفها الآن من الشرق الاوسط والبحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر وادعائها المدينة المنورة وضواحيها الى غير ذلك مما ينبغى على الداعية الاسلامى وهو يقف بين قوم وصلوا درجة عالية من العلم والمعرفة ، وان يظهر بالمظهر اللائق وان يتسلح بالعلم الحديث فوق المامه التام بمنطق القرآن وفلسفته ومزاياه ليكون لدعوته الأثر المحمود والاقناع المبنى على العلم والعقل ، ولابد مع كل ذلك من اتقانه اللغة الانجليزية واللغة

الفرنسية على الأقل لأنهما اللغتان المنتشرتان فى المجتمع الاوربى والاميركى والعكس .

(ج) وشعبة ثالثة لاعداد الدعاة فى العالم الاسلامى للرجوع الى اسسه القويمة وتعاليمه الرشيدة ومسلكه العظيم والتمسك بعباداته الصحيحة وقواعده السليمة وموقفه الأصيل قبل ان يهوى به ما جلبه الملوك والسلاطين والامراء والمشايخ والعلماء ممن أثروا الدنيا على الآخرة واتخذوا اوربا مثلهم الاعلى ففضلوا الدنيا على الدين وأقاموا دولا علمانية ليس للدين فيها من أثر الا تلك الجملة التى يخدعون بها العامة فيضعونها فى مستهل دساتيرهم ويقولون « دين الدولة الاسلام » وانساقوا وراء المدنية الزائفة فانتشرت الملاهى والمراقص والخمور والميسر والالحاد والزندقة واحتقروا الاسلام وجعلوا التمسك باهدابه تأخرا خرافيا وتسكعا وصوليا واندفع العلماء الى ابواب السلاطين ومنازل العظماء والموسرين فى احتقار وذلة وخنوع - وفتحت المدارس المتعددة تعلم الشبيبة ان اوربا ومدنيتها هى القدوة الحسنة وان الاسلام لا شأن له بالحياة فهو صلاة ميتة وجثة لا

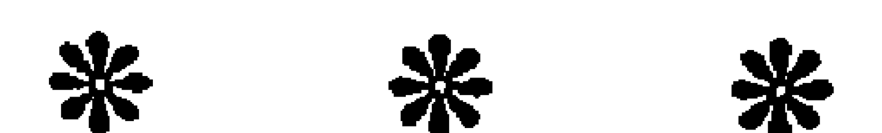
روح فيه ، وصيام ليس لمن صامه حظ الا الجوع والعطش ، والحج رحلة تجارية أو سفرة سياحية ، ولكى تؤدى هذه الشعبة اهدافها لابد ان يختار لها اوسع العلماء أفقا .. وارجحهم عقلا .. واقواهم ادراكا .. واصلبهم عودا .. واشدهم تمسكا بجوهر الاسلام وبعدا عما تنسبه اليه بعض كتب المتأخرين من تعقيدات وتخريجات تترك الدارس فى متاهات منطقية جدلية تضيع وسطها الحقائق .

هذه هى الاقتراحات الاربعة اقدمها للسادة علماء المسلمين وأنا آمل ان تكون محلا للدرس والتمحيص ومجالا للعمل المثمر اذا كان المسلمون جادين الى الجادة البيضاء وبدون ان تقوم بثورة جديدة تهدم ما اضيف الى الاسلام من زيادات مدمرة وافكار وسلوك مشين مما حدا بالمسلمين فى جهات اخرى الى عقد مؤتمرات اسلامية وندوات علمية ومحاورات فقهية وهذا فى حد ذاته ظاهرة صحية جيدة ، فهم يعملون على تداركه .

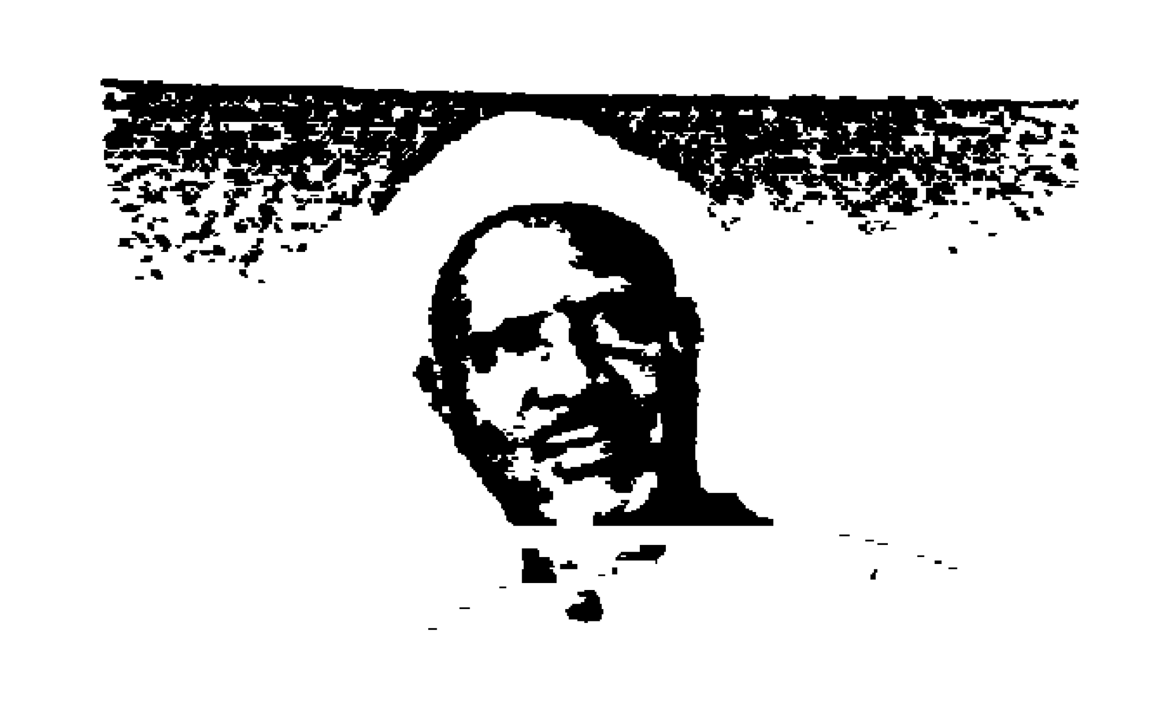
وقبل ان اختتم رسالتى هذه ارجو من كل القائمين على نشر الاسلام ومبادئه السامية العمل

علـــى حمايـــة الاســـلام ودفـــع الشـــبهات عنـــه ودحض آراء المضلليـــن والمشـككين فيـه بكـل الوسائل الممكنة تحقيقا لقوله تعالى :

﴿ وقـل اعملـوا فسـيرى الله عملكـم ورسـوله والمؤمنـون وسـتردون الى عـالم الغيـب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون ﴾ .







المـؤلفة قلوبهم

ومـن المواقـف الاسـلامية العظيمـة التـى وقفهـا «الرجـل » لنشـر الاسـلام فـى المنـاطق الوثنيـة فـى جنـوب السـودان نذكـر لـه هذا الموقف الجليل الذى اسـتطاع بمقدرتـه الذاتيـة وحنكتـه السياسـية وموهبتـه الدينيـة ان ينشـر الاسـلام ويحـد مـن مكـر المبشـرين المسـيحيين ويقـف سـداً منيعـا امـام الاعيـب المستعمرين وذلك عندما نقل الى محكمة « الرنك » جنوبـا فـى عـام ١٩٤٨ للمرة الثانية ، و « الرنك » هـى المركـز الشـمالى لمديريـة « اعـالى النيـل » والمتـاخرة للمنطقـة الاسـلامية ، يسـكنها عـدد لابأس بـه مـن المسـلمين الشماليين والجنوبيـن ، سـمحت الحكومـة بانشـاء محكمـة شـرعية ومسـجد جـامع بمدينة « الرنك » وسمحوا لقاضى تلك المحكمة ان يـزور مدينـة « ملكـال » عاصمـة مديريـة أعـالى النيل مرتين فى السنة يقيم فى كل مرة خمسة عشر

يومـا يباشـر فيهـا الاعمـال القضائيـة الشـرعية المتعلقـة بـالاحوال الشـخصية .. وتقسيم التركـات .. والاشـراف على مسـاجد « الرنـك » « وكـدوك » و « ملكال » .

ولمـا اقـام فـى مقـر عمله تذكر احوال الاسلام وكيف يحارب من المسئولين، وما يعانيه المسلمون من عنت واضطهاد فقد شاهد ذلك عن كثب عندما نقلـه السـكرتير القضـائى « مسـتر قرمـان » الـى الرنك عام ١٩٣٩ مغضوب عليه لعدم تنفيذ رغبتهم فـى تـرك رئاسـة تحريـر جريـدة « المؤتمـر » كمـا اوضحنا ذلك فى مكان آخر من هذا الكتاب ، وهو يذكـر جيدا تـاريخ الاسـتعمار فـى السـودان وخاصـة فـى « الجنـوب » فقـد اعتـبر الانجلـيز المديـات الجنوبيـة الثـلاث ، اعـالى النيـل .. والاسـتوائية .. وبحـر الغـزال ، منطقـة شبه منفصلة عن المديات السـودانية « الشمالية » المسـلمة ، بحيـث لا يسـمح للعربـى المسلم ان يتجـاوز خـط العـرض ١٢ وهـو الخـط الفـاصل بيـن المنطقتيـن الا بتصريـح مـن الحكومة بعد ان يوضح طالب التصريح مدة اقامته هنـاك ونـوع العمـل الـذى سيمارسـه واسـماء الاشـخاص الذين يعرفهم ويريد المقام بينهم ، وهذا

التصريح قابل للألغاء او التعديل بواسطة حكام المديريات الجنوبية متى شاءوا دون ذكر الاسباب وهم بذلك لا يسمحون الا لقلة من التجار والموظفين والصناع والعمال الذين هم فى حاجة ماسة اليهم والذين لا يمكن ان تستغنى الحكومة عن خدماتهم او تجد بديلا عنهم ، وبهذا التشريع الاستعمارى اغلقت الحكومة منذ فتح السودان فى سنة ١٨٩٨ أبواب الجزء الجنوبى الوثنى امام كل مسلم الا فى القليل النادر .

ولما تذكر « الرجل » لمآسى الانجليز فى السودان وهو فى هذا المنصب المقدس منصب القضاء الشرعى ، قرر ان يفعل المستحيل حتى يرضى ربه وبنى وطنه ويتقى وخز الضمير فأن من يتسامح فى حقوق بلاده ولو مرة واحدة يبقى أبد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان كما قال الزعيم المصرى مصطفى كامل ، فما بالك بمن يتسامح فى حقوق دينه ؟ فأعد الخطة بعد ان فكر مليا فى كيفية نشر الاسلام فى هذه المناطق بطريقة رسمية حتى لا يجد المسئولون من الانجليز الفرصة لابعاده دون ان يحقق هدفه ، فاستطاع بمساعدة قاضى قضاة السودان آنذاك فضيلة

المرحوم الشيخ « محمد نعمان الجارم » ان ينقل محكمة « الرنك » الى مدينة « ملكال » ثم استطاع بتوفيق من الله تعالى ان يقنع المديريين الثلاثة «بملكال » و « جوبا » و «واو » ليسمحوا له بالمرور على الأماكن التى بها مجموعات من المسلمين فى اى بلد من تلك المديريات فسمحوا له، وتنقل بين أرجاء المدريات الثلاث فى رحلة طويلة للمرة الأولى ، ثم بناء على طلبات ملحة من جميع المسلمين المقيمين فى جميع انحاء الجنوب سمح له بالمرور عليهم متى دعت الحاجة لذلك ، وبهذه الطريقة أخذ يجوب الجنوب كله مرتين كل عام من يوم ان نقل فى اوائل عام ١٩٤٨ الى اواخر عام ١٩٥٣ حيث استقال من منصب القضاء ليرشح نفسه فى دائرة « الخرطوم بحرى » بعد اتفاقية دولتى الحكم الثنائى .

ولم يكن هدفه فى الواقع القضايا والتركات ، اذ ليست هناك قضايا ولا تركات الا النذر اليسير ، ولكن كان هدفه الاسمى هو « نشر الاسلام » بين الوثنيين فى تلك الأرجاء ، فلم يدع بلدة .. او مستشفى .. او نقطة غابات .. او مركز ارسالية مسيحية .. او مدرسة .. او اى محل يقيم فيه ولو

مسلم واحد ناهيك عن عواصم المديريات والمراكز وسائر القرى الكبيرة ، فعرف الجنوب والجنوبيين عن قرب معرفة لم تتهيأ لأى مواطن غيره حتى ولو كان من ابناء الجنوب انفسهم ، ومع انه لاقى عنتا وشدة وقاسى من بعض المتاعب والعراقيل فلم يوهن ذلك من عزمه شيئا لأنه كان يعلم ذلك جيدا حينما فكر فى تنفيذ أمر مخططه الاسلامى ، وهو يدرك كذلك حال من سبقوه وما لاقوه فى سبيل نشر الاسلام من السلف الصالح رضوان الله عليهم اجمعين ، وتوثقت بينه وبين الكثيرين من المطارنة والقسيسين ورجال الارساليات على اختلاف اعمالهم من مدرسين واطباء ومهندسين ورهبان روابط الصداقة ، وكرس « الرجل » كل جهوده لنشر العقيدة الاسلامية بين المواطنين الوثنيين مستعينا بزملاء له مخلصين من التجار والموظفين والعمال وقد أبدوا جميعا احساسا وتفانيا فى سبيل اداء هذه الرسالة العظيمة ، وقد اناب عنه فى كل منطقة واحدا أو اكثر منهم لمواصلة العمل فى فترة غيابه فكان كلما عاد الى تلك المنطقة وجد عددا من الوثنيين قد انخرطوا فى سلك الاسلام ، ولكنه لاحظ ان هؤلاء الوثنيين الذين اكتسوا بعد ان كانوا عراة بعد ان تلقنوا عقيدة

الاسلام التى شرحت لهم شرحا مبسطا يتفق وعقليتهم وقد دربوا على اداء الصلوات فى رفق وتدرج لاحظ ان هؤلاء لا يستمرون على اسلامهم الا فترة قصيرة ثم لا يفتأ الواحد منهم ان ينزع ثوبه وينطلق عاريا كبقية اخوانه الوثنيين ويرجع وثنيا يعبد بعض الحجارة والاشجار والحيوانات ، كما شاهد المسيحى الذى يستجيب لدعوة الاسلام ويسلم لا يلبث ان يعود للكنيسة مسيحيا كما كان ، فادرك بثاقب فكره ان المجهود الذى يبذله مع زملائه مجهود ضائع لا يأتى بالثمرة المرجوة الا فى القليل النادر ، فاجتمع فى مدينة « ملكال » ببعض المخلصين لنشر الدعوة واستعرض معهم الموقف وتدارسوا الأمر فاستقر رأيهم على ضرورة تأسيس جمعية تجمع المال من تبرعات المسلمين فى الجنوب وفى الشمال ، وانشأ مدرسة « بملكال » لتعليم اللغة العربية المبسطة او الدارجة ويتعلم فيها من يدخلها عقيدة الاسلام ومبادئه الاساسية ويمارس فيها الصلاة فى مواقيتها وفى جماعة ، وليختلط بالمسلمين فى ملكال الموجودين فى الاسواق والمحلات العامة ، واعتقدوا انهم بهذه الطريقة يستطيع تخريج نخبة من المسلمين فتفتح الطريق امام الآخرين من الوثنيين ، وبالفعل نفذ

« الرجل » هذه الفكرة واسس جمعية « المؤلفة قلوبهم » وكان القصد من هذه التسمية ان يشعر الموسرون من المسلمين ان هذه الجمعية مصرف من مصارف الزكاة التى اشارت اليها الآية الكريمة: « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم » .

وقد ابدى التجار الشماليون « بملكال وجوبا وواو » وغيرها من مدن الجنوب حماسا كبيرا وقاموا بعمل مثمر فانهالت منهم التبرعات وقامت الجمعية ببناء مساكن من الخوص والقش والخشب حول مسجد « ملكال » واتخذ « الرجل » ومن معه من اعضاء الجمعية من حجرات المسجد مدرسة لتعليم هؤلاء المسلمين الجدد وبدأ مندوبوا الجمعية فى البلاد المتفرقة يرسلون اليها فى ملكال من يظهرون استعداد للدخول فى حظيرة الاسلام من الشبان فيكسونهم ويأوونهم فى المساكن التى بنوها من الخوص حول المسجد ويمدونهم بالطعام والشراب وبكل ما يلزمهم فى حياتهم المعيشية ويدخلونهم بعد ذلك المدرسة المعدة لاستقبالهم ،

وبعد ان يتعلموا كيف يغتسلون وكيف يتوضأون وكيف يصلون وينتظمون فى صفوف صلاة الجماعة فى المسجد فى كل أوقات الصلاة ، ويختلطون فى اوقات فراغهم بالمسلمين فى المنازل والشوارع والمحلات يكون قد مرت عليهم مدة لا تقل عن شهرين محجوزين فى هذه الدائرة التى اشرنا اليها وهو ما يسمى بلغة اليوم « كورس تدريبى » ثم يعود الطالب منهم الى بلاده ان شاء او الى اى جهة يريد ان يعيش فيها ، كما يسهل له الالتحاق بعمل اذا رغب فى ذلك ولم يقف مجهود الجمعية عند هذا الحد ، بل كان اعضاء الجمعية يحاولون بكل الوسائل ارسال النابغين « لمعهد امدرمان العلمى » او « لمصر » حيث يلتحق «بالأزهر » الشريف ، وكان « الرجل » قد اتفق مع المسئولين فى الأزهر ان يعدوا للوافدين من «الجنوب » منازل خاصة كما يقروا لهم اعانات سخية للطعام والشراب والكساء وقد شهدت الفترة ما بين عام ١٩٤٨ و ١٩٥٢ وفودا منظمة وان كانت من قبل وفودا قليلة على فترات متقطعة .

وعندما نذكر تلك الامجاد « للرجل » ونحن فى صحبة معه بمنزلة بالخرطوم نجده يجتر

الذكريات ويحمد الله تعالى على توفيقه له للقيام بهذا العمل ولكنه يذكر بتواضع العلماء زملاء له بذلوا من اموالهم الشئ الكثير ومن جهدهم الشئ الأكثر ، فهو يذكر ان التاجر المسلم « الجلابى » كان يهتم بنشر الاسلام اكثر من اهتمامه بتجارته مضحيا بوقته وماله وراحته وليس هذا فحسب ، بل كان المسلم من ابناء الجنوب يهتم بهداية من يتصل بهم من ابناء جلدته اهتماما كبيرا ، ثم يقول: لو اردت ان اذكر اسماء التجار والذين تبرعوا بسخاء للجمعية بعد ان نشرنا نداء بذلك فى الصحف لأخذت هذه الاسماء جلستنا هذه بل جلسات ولكنى اشيد هنا ونحن فى هذه الذكرى العاطرة بأمين صندوق الجمعية الشاب المسلم الغيور الشيخ الداعية «معاوية »
من ابناء الدويم وهو من تجار ملكال الميامين ، كما اذكر بالفخر مجهود الشيخ حسن سرور الدينكاوى الذى كان يواصل سفراته جيئة وذهابا بين وطنه «اعالى النيل» وبين «مصر» مصطحبا معه فى كل سفرة عددا من الشبان ليدخلهم الازهر الشريف ، ومن اعمال جمعية «المؤلفة قلوبهم» انها مكنت الشيخ «ادريس اليوغندى» الذى كان يقوم مع ابناء وطنه اليوغنديين كما كان يقوم به الشيخ

حسن سرور فاعترض الحكام البريطانيون سبيله فلجأ الينا فى جنوب السودان وظل يقوم بنفس المهمة الجليلة التى كان يقوم بها فى يوغندة .

وعندما نسأل « الرجل » هل كانت التبرعات التى كانت تترى على الجمعية من المواطنيين فى الشمال والجنوب فقط ، ام كانت تأتى اليكم تبرعات من جاليات اخرى ؟ يقول : بكل صراحة كان هناك رجل من كبار المصريين ما كاد يسمع بهذه الجمعية حتى التزم بامدادها من وقت لآخر بتبرعات كبيرة من مصر ! ! وعندما تأخذنا الدهشة بالتزام هذا الرجل لذلك العمل الجليل أصررنا على معرفة اسمه للأشادة به أو للتعرف عليه وتعريفه للمواطنين ، فقال « الرجل » وكأنه يذيع سرا خطيرا : ان ذلك الرجل العظيم هو الاستاذ الكبير « محمد عبد الهادى » الذى أنشأ المدرسة المصرية بالخرطوم ، تلك المدرسة التى اصبحت مركزا للتعليم المصرى فى السودان والتى تطورت حتى اتسع نطاقها فانبثقت منها عدة مدارس ابتدائية واعدادية وثانوية وتلكم هى البعثة المصرية التعليمية الحالية التابعة لوزارة التربية والتعليم بمصر التى تضم اليوم الوفا مؤلفة من ابناء

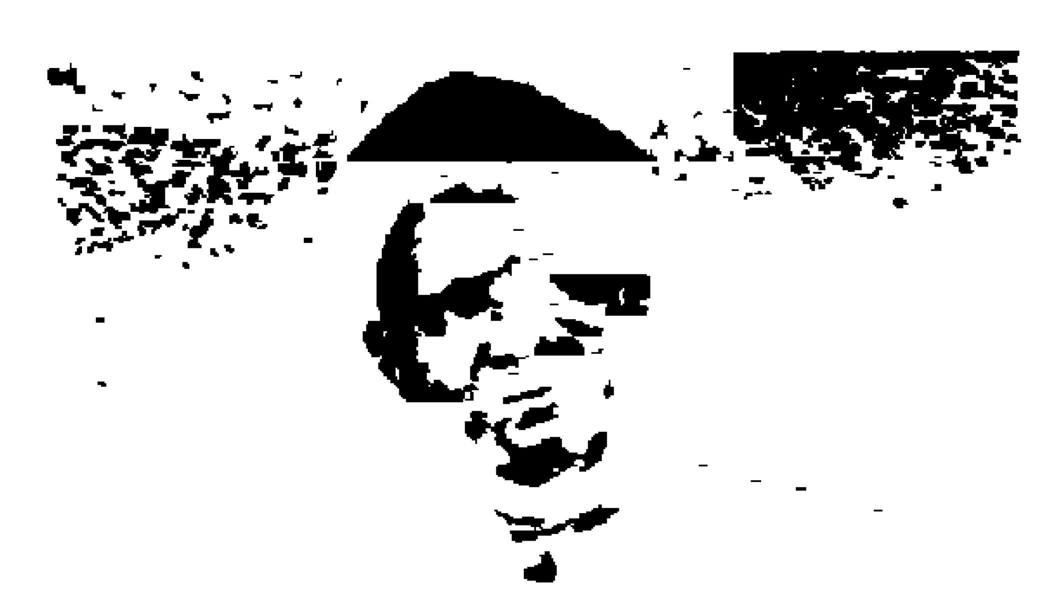
السودان وتخرج كل عام المئات ممن يلتحقون بالجامعات والوظائف المختلفة ، تلك البعثة العظيمة التى توجت اعمالها بانشاء جامعة القاهرة « فرع الخرطوم » التى اسسها بمجهود حكيم وجرئ الاستاذ الكبير الدكتور « عبد العزيز السيد » رئيس قسم « اليونسكو العربى » بالجامعة العربية فى وقت سابق ، وقد خرجت القاهرة لفرع الخرطوم صفوة من العلماء من كلياتها النظرية فى القانون .. والتجارة .. والآداب وهى تضم بين جنبيها اليوم اكثر من عشرين الفا من الطلاب . والذى لم يذكره « الرجل » هو انه لولا اتخاذه قراره الثورى بالموافقة على انشأ هذه الجامعة فى الخرطوم عام ١٩٥٥ بعدما اصبح وزيرا للمعارف فى اول وزارة وطنية تسلمت مقاليد البلاد ما كان لهذه الجامعة الفرع من اثر .

وامام هذه الشهادة الشاملة من الرجل الذى يقدر كل كلمة تفوه بها ، نشكره على تذكره لاحسان المحسنين .. وتمجيده للمجاهدين ، ونسأل عن اهم اعمال الجمعية حتى تكون نقطة تذكر بالفخر فى سجل اعمالها المجيدة الجليلة فقال : من ابرز الاعمال التى قامت بها جمعية المؤلفة قلوبهم بجنوب السودان انها انشأت مراكز صغيرة فى

عدد من المدن كان يديرها التجار الوطنيون وقد تحولت بعض هذه المراكز الى مساجد صغيرة بنيت بالخوص والقش تؤدى فيها الصلوات يؤمها المسلمون المقيمون بتلك الجهات على قلتهم ولو قدر لجمعية المؤلفة قلوبهم ان تعيش ليومنا هذا لتغير وجه السودان فى الجنوب الى حد كبير الى وجه مشرق بالاسلام .

ولو اردت ان اذكر جهاد « الرجل » فى هذا الصدد وفى هذه البقعة من ارض السودان لاحتجت الى كتاب كامل قد لا تستوعب صفحاته مهما كان عددها تلك الامجاد ، ولكنى اتساءل هل لو كان فى ذاك الوقت سجل لأحصاء من دخلوا الاسلام كما هو الحال الآن فى المصالح والمؤسسات الحكومية ووزارة الشئون الدينية ، اى السجلين كان اكثر عددا مع الفارق بين من يأخذون المرتبات وينفقون من اموال الخزانة وبين من يجمعون التبرعات من الوطنيين والجلابه ؟ ؟ انني اترك الاجابة لمن يهتمون بجمع الارقام والمتخصصين فى الاحصاء لأن فى قولهم الحق انصاف الموتى من الاحياء .

* * *



من هو الزعيم المرتجى ؟

السودان .. كان هو شغلنا الشاغل فى جميع جلساتنا ، ومحور حديثنا حول دول القارة الافريقية والتى نالت استقلالها من بعدنا وما وصلت اليه من تقدم وازدهار وظل حالنا على ما كنا عليه .

وهو الحديث كله كلما حدث تعديل وزارى أو دعا الداعى لاجراء انتخابات لمجلس الشعب دون ان يتم دورته المنصوص عنها فى الدستور « الدائم » .

واثناء كل حديث نعرج على معرفة بعض معانى الوطنية والسياسة ، فنعلم منه فى النهاية ان السياسة هى فن الوصول الى الممكن ، واذا لم يصل الانسان الى الممكن عن طريق السياسة فيكون هناك الطريق الوحيد امام الجميع وهو

الجهاد والتضحية والقتال والصبر الى ابعد مدى ، اما الوطنية فهى هدف وايمان كما ان السياسة خطة ومنهج ، فالوطنية تتعلق بالكيان والاستقلال وبناء شخصية الأمة ، والسياسة تأتى بعد الوطنية دائما لانها تتعلق بتثبيت الدعائم التى يقوم عليها الوطن وصيانتها من التفكك والانهيار .

وقد مارس «الرجل» الوطنية بكل ما يحمل من اخلاق لأن احدهما بدون الآخر لا يمكن ان يصل به الانسان الى الثمرة المرجوة وهو الهدف لتحقيق الاستقلال ، وقد خاض المعارك السياسية طوال حياته بالقدر الممكن من تلك الاخلاق لأن القاعدة فى السياسة هى تحقيق الغرض الذى يسعى اليه السياسى دون الارتباط بالقيم الاخلاقية لأن الغرض مقدم على الاخلاق حتى عرف الخواص ان السياسة لا قلب لها لأنها فى مسيرتها قد تعد بتحقيق اشياء وتحول الاحداث دون تحقيقها واحيانا تحقق اشياء تسعد المواطنين دون ان تعد لها .

وعندما نسأل « الرجل » الذى سبر غور الحياة السياسية .. وشهد له العالم بصدق الوطنية . وقد عاصر حكومات ما قبل الاستقلال وما بعده .. واشترك فى حكومات الأئتلاف مع حزب الأمة فى

عهدى الامامين الراحلين السيد عبد الرحمن المهدى والسيد الهادى المهدى .. واستنكر بلسانه وقلبه عهد التسلم والتسليم فى ١٧ نوفمبر ١٩٥٨ . وقاوم حكومة « الهيئة المنتخبة » برئاسة السيد الصادق المهدى .. وشاهد حكومات ثورة مايو منذ بزوغها سنة ١٩٦٩ .. ودرس كل انظم الحكم فى العالم .. وصادق معظم حكام الدول فى الشرق والغرب .. واجتمع بالثوار فى كل بقاع الارض التى تفجرت فيها الثورات التحررية ، عندما نسأله عن ما هو النظام الذى يصلح لحكم وطننا وما هى الصفات التى يجب ان تتوفر لدى الزعيم الذى يرأس تلك الحكومة حتى نعيش فى استقرار وندرك ما فاتنا ونلحق بالقطار ، يقول بعد فكر وتانى فى داخل نفسه وكأنه يستخلص عصارة افكار الحاكمين فى العالمين وما حوته دساتير الدول العظمى بين دفتيها على مر السنين حتى تكون اجابته واضحة وضوح شخصيته ، صادقة صدق عزيمته ومخلصة لله وللشعب وللوطن اخلاص وطنيته ، يقول :

ارجو ان اشير هنا الى موقع السودان الفريد فى نوعه والذى يجعله قبلة الانظار وموئل الاحرار وامل الكثير من الاقطار ، فالوطن يقع فى قلب

القارة الافريقية ويجاور ثمانية من الدول الافريقية وهو القنطرة التى تعبر على متنها الاقطار التقدمية والتيارات الثورية والمشروعات العمرانية فهى تهبط من الشمال فتستقر فى السودان ومنه ينحدر سيلها الى احشاء القارة عن طريق الدول المجاورة، والسودان هو الحلقة التى تربط الافريقيين بالعرب فهو عربى يؤثر ويتأثر بالعروبة وهو أفريقى تنظر اليه الشعوب الافريقية نظرة الزعامة الرشيدة والقدوة الحسنة كل هذه الاسباب ولغيرها من الاسباب التى لا مجال لسردها تضع السودان فى مركز خطير وترشحه لأداء رسالة العلم والنور فى كل ميادين الحضارة والتقدم ، ولكى يقوم السودان برسالته القيادية هذه يحتاج الى قائد شجاع وزعيم واسع الأفق والادراك واثق من نفسه وواثق من ارتباط شعبه به ، يقوده قيادة حكيمة توحد اجزاءه وتجمع شتاته وترعى تراثه وتقاليده وتحافظ على دينه وخلقه وتجمع كلمته وذلك يحتاج الى صدر رحب وعقل خصيب وصبر طويل فإذا استطاع من توفرت فيه هذه المؤهلات قيادة شعبه استطاع السودان ان يقوم برسالته القيادية فى المجالين العربى والافريقى بمقدرة وكفاءة .

* * *

خاتمة

وبعد ان قدمنا تلك الباقة من الصفحات المضيئة بجهاد وامجاد هذا « الرجل » والتى سيبقى عبيرها مدى الأزمان يملأ اريجها وادينا لينتشق منه ابناء الوطن رحيق التضحية فى سبيل مجد الاوطان ، لا يسعنى وانا الذى دخلت بستان حياة ذلك « الرجل » دون استئذان لأسجل «جهاده وامجاده » التى لا احصيها مهما جاهدت واجتهدت .. والتى لا اوفيها حقها مهما بحثت وسجلت ، لايسعنى الا ان اقف امامه لأعبر له عن شكرى وتقديرى وعرفانى بما قدم وسيقدم ما بقى له من عمر مديد ان شاء الله لهذا الوطن الحبيب الذى وهب له عمره منذ ان عرف معنى الحياة بقول شاعر النيل حافظ ابراهيم :

شكرت جميل صنيعكم بدمعى
ودمع العين مقياس الشعور
لأول مرة ذاق جفنى
على ما ذاقه - دمع السرور

زغلول الوطنى

الخرطوم فى اول يناير ١٩٨٣ م

* * *

كلمـة الدكتور الباقـر احمد عبد الله التى قدم بها الكتاب

مـع المجاهد الوطني الراحل .. الشيخ علي عبد الرحمن الامين

ابتـداء مـن يوم غد الخميس تبدأ الخرطوم فى نشر المخطوطة الرائعة التى اعدها الزميل الاستاذ زغلول الوطني عن المجاهد العربى الراحل الشيخ علي عبد الرحمن الامين احد الرموز الرائدة التى اثـرت حياتنـا مـن خـلال مـا قـام بـه مـن دور فـي ارساء الكثير من القيم الاسلامية والعربية .

وتتعرض مخطوطة الكتاب المذكور الى البيئة والظـروف التـى شـكلت شـخصية ذلـك المنـاضل العمـلاق منذ نعومـة اظـافره .. حيـث يبـدأ بـالحديث عـن جزيـرة توتـي الصـامدة التـى انحـدر منهـا حفيد الشـيخ الضريـر وود ام مريـوم .. لـيروي وفـي اسلوب شيق ودقيـق وقفـة اهـالي توتـي ضد المدير الانجـليزي للخرطـوم آنـذاك المسـتر مـاكنتوش الـذي امر في ١٩٤٤م بأن تنزع ملكية جزيرة توتي من

اهلها بحجة ان يتم غرس اشجار في تلك المساحة المواجهة للفندق الكبير حتي لا يصل الغبار الي نزلاء ذلك الفندق .

لينتقل بعد ذلك الي وصف ملحمة فيضان عام ١٩٤٦ وصراع اهالي توتي العنيد ضد تلك الكارثة الطبيعية .. ولم ينس الكاتب وهو ينقب عن جذور ذلك القائد التاريخي الفذ من التعرض للوقفة المعروفة لاهالي توتي مع ابنهم الشيخ علي عبد الرحمن وهو يواجه في خشم القربة المحكمة التي تشكلت ضده تحت طائلة عدد من المواد القانونية التي تصل الي الاعدام بتهمة التحريض علي القتل وذلك عندما طالب الشيخ علي الجماهير كزعيم لحزب الشعب الديمقراطي بمقاطعة الانتخابات في عام ١٩٦٦ بل ومقاومتها بالقوة باعتبار انها تقوم في شمال السودان وحده دون جنوبه وهو امر اوضح ذلك الشيخ المجاهد انه يعني الاعتراف بفصل الجنوب .. وتجلت بحق عبقرية الشيخ علي عبد الرحمن في تلك المحاكمة التاريخية حيث اكد انه كان قد طالب الجماهير بمقاومة الانتخابات بقوة وليست بالقوة مستندا الي الآية الكريمة « يا يحيى خذ الكتاب بقوة » .

ويتخذ الكاتب من الحديث عن جزيرة توتي مدخلا وتمهيدا للحديث عن شخصية ذلك الزعيم الوطني الذي يعد احد شيوخ الحركة الوطنية والاتحادية علي وجه الخصوص .. بل واكثرهم تأثيرا في مجريات السياسة السودانية .. وقد كان لموقفه التاريخي الكبير ضد حلف بغداد ومشروع ايزنهاور والمعونة الامريكية الاثر الواضح في اسقاط تلك المشروعات في خمسينات هذا القرن .. بل كان ذلك حافزا لبقية الدول العربية الاخري لرفضه .

تخرج الشيخ علي عبد الرحمن في كلية غردون التذكارية عام ١٩٢٦ وعمل بالقضاء الشرعي حتي عام ١٩٥٣ حيث استقال ليقوم بترشيح نفسه للانتخابات الاولي في نوفمبر ١٩٥٣ وعين وزيرا للعدل في اول حكومة سودانية قامت بتحقيق الاستقلال وظل وزيرا في مختلف الحكومات الوطنية البرلمانية التي تعاقبت منذ ذلك التاريخ الي ان اختاره الله الي جواره في نهاية العقد الثامن من هذا القرن .. حيث شغل منصب نائب رئيس الوزراء ووزير خارجية السودان حتي وقوع الانقلاب المايوي في ١٩٦٩م .

يعد الشيخ علي عبد الرحمن من اكثر الزعماء معرفة بشؤون جنوب السودان وقد عمل فيه فترة طويلة كقاض شرعي واسلم علي يديه عدد لا يستهان به .. وقد الف كتابا عن الاسلام ومشكلة جنوب السودان .

عاش الراحل الكبير في قلب الحركة الوطنية وعرف بمواقفه الصلبة والمنحازة الي جانب قضية العرب المركزية القضية الفلسطينية .. وقد كان من المؤمنين بالوحدة والتوجه الاسلامي العروبي .. وساعد وهو وزير للمعارف في السودان علي انشاء جامعة القاهرة فرع الخرطوم .

وفي المجال الصحفي عمل الشيخ علي كاول رئيس لتحرير جريدة المؤتمر التي كانت ناطقة باسم مؤتمر الخريجين مثلما اسس في منتصف الستينات جريدة الجماهير التي تعاقب علي رئاسة تحريرها كل من زيادة حمور ومحمد عبد الجواد وعبد المنعم حسب الله .. عليهم رحمة الله وبركاته ..

لقد تعرفت عن قرب بالكاتب الزميل الاستاذ زغلول الوطني الذي جاء الي السودان من شمال

الــوادي وبقــي هنــاك قرابــة الخمســين عامــا حتــي ١٩٨٥ م .. وقــد اتــاح لـه قربـه وصلتـه الشـخصية الحميمة بالشيخ علي عبد الرحمن من ان يقف علي كثير من جوانب شخصية ذلك المجاهد الوطنـي الكبير .

ان الخرطوم وهي تقوم بتناول هذه المخطوطة الهامـة تـأمل ان تكون بذلك قد اسـهمت فـى تسليط الضـوء علـي رجل يعد من اصلب وانقي اؤلئك الرجـال الميـامين مـن ذلك الرهط الوطني العظيم ، الذيـن تركـوا فراغـا كبيرا .. ومضـوا الـي رحـاب ربهم بعد ان عطروا ثري الوطن بكل ما هو رائع ومجيـد .. ذهبـوا فقـراء مثلمـا عاشـوا .. ليلقـوا اجر ما قاموا به .. عند مليك مقتدر ..

وسـلام علـي الشـيخ علـي عبـد الرحمـن .. يـوم مات .. ويوم ولد .. ويوم يبعث حيا ..

د . الباقر احمد عبد الله

* * *

التعليقات التى تفضل بها مرسالوها

الدكتور أحمد السيد حمد يكتب عن :

الشيخ المجاهد على عبد الرحمن

الأخ الدكتور الباقر :

ارجو ان اجدد التهنئة مرة اخرى بالعيد الثانى للخرطوم التى استطاعت ان تملأ فراغا بينا فى الساحة الاعلامية والوطنية السودانية متوشحة بالكلمة الوقورة والمحايدة الأمر الذى اضفى عليها مصداقية خاصة وأهلها لأن تلعب هذا الدور الوطنى والمهنى الذى لا يستطيع ان ينكره احد .

ولقد سعدت - اخى الباقر - بما تقوم به صحيفة الخرطوم بنشره من احاديث عن المناضل الوطنى الراحل الشيخ على عبد الرحمن .. وما سطره قلمكم على وجه الخصوص ، فالشيخ على عبد الرحمن كما تعلم وقد كنت من المقربين والمعاصرين له من كبار المجاهدين الوطنيين الرواد .. فهو من مؤسسى حزب الاشقاء .. الذى

كان الرافد الأول للحركة الوطنية السودانية من داخل مؤتمر الخريجين .. حيث سيطر الاشقاء عن طريق الانتخابات الديمقراطية على قيادة هذا المؤتمر ولجنته التنفيذية .

يعد المجاهد الوطنى الشيخ على عبد الرحمن من الأوائل الذين وضعوا ثوابت السياسات التحررية فى وطننا العربى ضد الاستعمار البريطانى .. ابان الحكم الثنائى .. فقادوا مؤتمر الخريجين الذى جعل من مبادئه الثابتة تحرير الارادة وانشاء حركة اتحادية قوية ومتماسكة تربط بين شقى وادى النيل .. وقد بدأوا بانشاء المؤسسات الوطنية ودعمها .. كالمدرسة الأهلية .. وانشأء ملجأ القرش ومساندة ودعم التعليم الأهلى.. لتقود تنظيمات المؤتمر فى كافة انحاء السودان .. على مستوى القطر كله .. معارك التحرير الوطنية مقدمين جثام التضحيات ليشنوا الحملات الصحفية المتوالية ضد نظام الحكم الثنائى بقيادة الحاكم العام البريطانى .. وشكلت جريدة مؤتمر الخريجين العام والتى كان الشيخ على عبد الرحمن يشرف على تحريرها مع بعض زملائه مثل يحيى الفضلى .. المصدر الرئيسى للهجوم على سياسات الادارة البريطانية فى السودان .

لقد احكم الاشقاء عبر الانتخابات المختلفة للمؤتمر قبضتهم بتكتيكاتهم وتنظيماتهم وفكرهم السياسى بقيادة الزعيم الراحل الرئيس اسماعيل الازهرى . وكان للراحل العزيز المناضل الجسور الشيخ على مع زميله الراحل المقيم يحيى الفضلى (الدينمو) القدح المعلى فى تزكية واشعال الثورة والنضال ضد الادارة البريطانية وظلوا على العهد يؤدون دورهم بتجرد وصدق حتى اثمر ذلك الدور بالتعاون مع الاشقاء فى شمال الوادى على تحقيق حلم جلاء القوات الأجنبية من ارض الوادى وجاءت اتفاقية الحكم الذاتى فى فبراير ١٩٥٣ لتترجم وتؤكد مصداقية الكفاح المشترك بين ابناء الوادى حيث لعبت الثورة المصرية بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر دورا هاما ادى الى تأكيد السيادة الوطنية فى كل من مصر والسودان .

ليبقى الشيخ على عبد الرحمن يقود الأتجاه الوحدوى بين ربوع وادى النيل وظل وفيا لهذا الموقف المبدئى حتى بعد اعلان استقلال السودان فى يناير ١٩٥٦م.. حيث اقتضت بعض الظروف ضرورة تحرير الارادة السودانية اولا لتبدأ بعد ذلك خطوات الوحدة مع مصر الشقيقة.. ولما تباطأ الاشقاء فى سرعة اعلان قيام الدولة الاتحادية

كان لابد ان يقوم الشيخ على عبد الرحمن بضغوط متوالية داخل الحزب الوطنى الاتحادى وعند فشله فى ذلك اعلن الشيخ على عبد الرحمن قيام حزب الشعب الديمقراطى برئاسته وسكرتاريتى على اساس المبادئ والثوابت الوطنية الاولى للأتحاد مع الشقيقة مصر .. ولهذا كان من الطبيعى ان يتصدر دستور حزب الشعب الديمقراطى التأكيد على الوحدة مع مصر وتكوين حكومة اتحادية تجمع ابناء الوادى وظل الشيخ على وفيا لهذه المبادئ التى كانت تتلخص بالنسبة لوجهة نظره على قيام مؤسسات حكومية مشتركة فى شمال وجنوب الوادى على اساس النظام الفيدرالى فى سويسرا .. وبقى المجاهد العربى على ذلك حتى لاقى ربه راضيا مرضيا .. لتبقى الشعلة نحملها بعده جيلا اثر جيل .. اذ لا ينتهى الامر بوفاة الشيخ على عبد الرحمن الرائد والسياسى الأول .. ونذكر ان المسيرة الأتحادية توحدت فصائلها من جديد بقيادة الزعيم الأزهرى والشيخ على عبد الرحمن ورعاية السيد على الميرغنى ليعلن عن الحزب الاتحادى الديمقراطى فى ديسمبر ١٩٦٧م على نفس المبادئ والاهداف التى كان الشيخ على احد المهندسين الحقيقيين الذين وضعوا لبنتها .

اخى الدكتور الباقـر

اننى اذ اختم هذه الرسالة المقتضبة عن مسيرة ذلـك المنـاضل والمعلـم الرائـد والرائـع الشـيخ علـى عبـد الرحمـن والـذى كنتـم احـد تلاميذه . ارجـو ان اشـكر « للخرطـوم » هـذا المنحـى المهنـى والوطنى الـذى يمكـن الأجيال الجديدة من الوقوف على ذلك السـفر الوطنـى المجيـد لأولئـك الـرواد مـن امثـال الراحـــل المقيـــم المناضـــل الوحـدوى الشـيخ علـى عبد الرحمن ، وفقنا الله واياكم لما فيه خدمة شعبنا وامتنا العربية .

مع خالص الدعوات لكم بالنجاح المستمر

د . احمد السيد حمد

« الخرطوم » ٢٢ ابريل ١٩٩٥

* * *

الشيخ على عبد الرحمن
وجنوب السودان

بعد عام ١٩٢٤ وخروج المصريين من السودان لم يبق اى أثر من آثار الاسلام فى جنوب السودان وترك الأمر بكامله للكنائس والمبشرين ويسر لهم الصرف من ميزانية الدولة واحكم تطبيق قانون المناطق المقفولة ومنعت الصلاة فى العلن فكان على بقية التجار الشماليين ان يصلوا داخل منازلهم او فى مخازن متاجرهم والبقية القليلة من مهندسى الرى المصريين فحددت اقامتهم تماما بين اماكن العمل ومنازلهم التى كانت كلها فى معسكر واحد كما منع الكلام باللغة العربية والتاجر الشمالى الذى لا يتكلم لغة القبيلة التى يعمل وسطها يطرد بعد فترة معينة .

فى اواسط الثلاثينات وبعد ضغط شديد من رجال الدين وعلماء المسلمين فى الشمال وبحجة ان هناك مسلمين فى الجنوب ولابد لهم من وجود محاكم شرعية وافقت حكومة الانجليز على فتح محكمة شرعية واحدة للمديريات الجنوبية الثلاث يكون مقرها ملكال وعلى شرط ان يختار السكرتير

القضائى الانجليزى القاضى الشرعى لتلك المحكمة بالرغم من وجود قاض للقضاء الشرعى وذاك كان المنصب الوحيد الذى بقى يشغله مصرى فى كل السودان حتى قبيل السودنة ، كان الانجليز يصنفون السودانيين الى قسمين معتدلين ومجانين، الأوائل هم الذين يظهرون لهم الطاعة ، والنوع الثانى هم المعارضون فكان الشيخ على عبد الرحمن لطبعه الهادئ كان عندهم مصنفا من المعتدلين فاختاره السكرتير القضائى قاضيا شرعيا للمديريات الجنوبية وما دروا ان الشيخ على كان اشد من يحمل حقدا وكرها للأنجليز فسافر بسرعة الى الجنوب وبقى هناك دون ان يطلب اجازة او نقلا او ترقية حتى قيام مؤتمر الخريجين وتكوين الاحزاب حين استقال من منصبه الحكومى وتفرغ للعمل السياسى المكشوف .

كان الشيخ على لا يبقى فى ملكال الا يومين أو ثلاثة ثم يبدأ طوافا جديدا على احدى المديريات الجنوبية كما وانه لم يبق يوما واحد فى رئاسة مديرية أو مركز بل كان يتجول داخل الغابات والقرى والفرقان الشئ الذى جعله يوطد علاقات حميمة وصداقات قوية مع الجنوبيين والسلاطين والمشائخ .

فـى اول حكومـة وطنيـة بعـد الاستقلال عيـن الشيخ على وزيرا للداخلية وليس وزيرا للعدل كما قرأت فـى جريدة الخرطوم واظن وزير العدل فى تلك الحكومة كان الشيخ البوشى ، فاول زيارة قام بهـا خـارج الخرطـوم كـانت للمديريـات الجنوبيـة مبتدئا بمديرية بحر الغزال التى كنت وقتئذ قمندانا لبوليسها ، امتدت تلك الزيارة لمدة خمسة واربعون يومـا هـذا وقـد طلـب منـى بعـد ان انتهـت زيارتـه لمديريــة بحـر الغـزال ان ارافقـه فـى طــوافه على بقيـة المــديريات الاخــرى حتــى فارقتــه بمدينــة كوستى بعد شهر ونصف الشهر من تاريخ وصوله لمطار واو .

لـم يمضـى الشيخ علـى ليلـة واحـدة فـى رئاسة مديريـة او مركـز فمثـلا مـن مطـار واو ذهـب رأسـا الى قوقريال حيث صديقه السلطان دينج مشار وقد وجدنـا هنـاك مـنزلا مكتمـل التأسيس والمنافع يطلق عليه اسم « بيت شيخ على » هذا وقد وجدنا مثل هذا المـنزل فـى جميـع الامـاكن التـى مررنـا عليهـا ارجـو ان يلاحـظ القـارئ تسمية تلـك البيـوت انهـا ليسـت اسـتراحات بـل بيـوت واعتقـد معنـى هـذا ان الشيخ علـى كـان مواطنـا فـى كـل قـرى الجنـوب وقبائله وله بيت بل بيوت وسط تلك القبائل ، ومما

لاحظته ايضا فى جميع تلك البيوت كانت توجد بروش للصلاة طويلة وطول تلك المدة التى امضاها كان يصلى بعدد كبير جماعة فى جميع اوقات الصلاة ثم يتحدث للناس حديثا وطنيا فى اى مكان زاره الشيخ على يستقبل بالهتاف والزغاريد والطبول والرقص ومن قوقريال وناس الدنكا العاليات حشد له صديقه دينج مشار سلطان تلك المنطقة وهو بالمناسبة والد الدكتور فرانسيس دينج السفير بوزارة الخارجية ما لايقل عن المليون شخص على فضاء واسع ركبت فيه مكبرات الصوت فخطب السلطان قبل الشيخ على ومن ضمن ما قال:

« ان تجارة الرقيق التى تسمعون عنها وان ما يقوله القسس، ويركزون عليه بان الشماليين «مندوكرات » هم الذين كانوا يبيعونكم . الكلام ده فيه شئ من الحقيقة ولكن ما كل الحقيقة لأنه غير الشماليين كان فيه جنسيات كثيرة تعمل فى تجارة الرقيق وبينهم انجليز وطليان وغيرهم وكل هؤلاء ما كانوا يدخلون الغابة بل كان جدهم ديم زبير مشروع الرق وكنا نحن الجنوبيين الذين نعرف دروب الغابات واماكن الشبان والشابات نجمعهم ونبيعهم لهؤلاء التجار بديم زبير ومشروع

الرق وعليه فـان دورنا كـان اكبر من دور هؤلاء التجار » .

انـى علـى قناعـة تامـة وممـا لاحظته طـول الخمـس سـنوات التـى امضيتهـا بـالعمل بـالجنوب عشت وشاهدت اثناء زيارة الشيخ على ذلك الشئ الذى لست فى مقدرة على وصفه كله لو كان هناك ثلاثـة مـن الشـماليين الذيـن عملـوا فـى الجنـوب فـى مسـتوى الشـيخ علـى عبـد الرحمـن لمـا قام تمرد او نشبت حـرب هنـاك ولكـن آه مـن سلوك وتصرفـات بعض الشماليين الذين عملوا هناك .

لا يمكـن ان اذكـر تلـك الرحلـة ولا اذكـر المرحـوم الاسـتاذ الظريـف محمـد حـاج حسين الذى كـان وقتئـذ مديـرا لمكتـب وزيـر الداخليـة وقـد كـان يرافـق الشـيخ علـى فـى تلـك الرحلـة فقد كان طول الرحلـة بعـد العشـاء وقبـل العشـاء يتحفنـا باشـعاره وقفشاته وملحه الذكية وقد كتب اشعارا كثيرة اثناء تلـك الرحلـة ، هـذا وقـد روى لنـا الشـيخ علـى نفسه بـان محمـد بصفتـه مديـر مكتبـه لا يمنـع اى زائـر للدخـول لمكتـب الشـيخ علـى دون اذنـه فنبهـه لذلـك وطلـب اليـه الا يدخـل اى شـخص الا بـأذن مـن الشيخ على مسبق ولكن فى نفس اليوم حضر رجل مـن الدراويـش حـافى الـرأس والقدميـن ويلـف عمتـه

فى وسطه ويلبس جلابية خضراء فادخله محمد على الشيخ على دون ان يعرف الشيخ على وكان الشيخ على فى اجتماع حقيقى ليس مثل الاجتماعات اليوم الوهمية فغضب الشيخ على وخرج لمحمد وزجره لذاك التصرف فما كان من محمد الا ان قال له « يامولانا انا قايله منو يعنى ... » فضحك الشيخ على ورجع لاجتماعه.

ارجو ان اهمس فى اذان سكرتيرى وسكرتاريات اليوم والذين يمنعون الزوار بنسبة .. ان لا يفعلوا ذلك لعدم معرفتهم بالشخص طالب المقابلة .

حسن محمد صالح المك

« الخرطوم » ٢ مايو ١٩٩٥

* * *

صفحة متوهجة من حياة الشيخ
على عبد الرحمن الأمين الضرير

فى ملكال بين عامى ١٩٤٧ ، ١٩٥٢ م

الدكتور الباقر احمد عبد الله قد اشعرنى ما كتبه فى « افاق جديدة » بالعدد رقم (٨٦٣) من (الخرطوم) بتاريخ يوم الاربعاء ١٩ ذى القعدة ١٤١٥ الموافق ١٩ ابريل ١٩٩٥ م تحت عنوان (مع المجاهد الوطنى الراحل الشيخ على عبد الرحمن) .

لك التحية والتجلة و « للخرطوم » الغراء خالص التهانى والأمانى وبعد :

أشعرنى بتقصيرى فى حق هذا الزعيم الوطنى والداعية الاسلامى عطر الله ثراه ، وبالتالى التقصير فى حق تاريخنا الوطنى الحديث والمعاصر وفى حق الجيل الذى جاء للحياة بعد اعلان الاستقلال فى يناير ١٩٥٦ ، وذلك اننى كنت وما زلت ازعم لنفسى واحيانا لغيرى بان

علاقتى بالشيخ على عبد الرحمن الأمين الضرير رحمه الله ليست علاقة عادية ، بل ازعم انها فى بعض وجوهها الوطنية الانسانية اعمق من علاقة القربى دما ولحما .

وقد حفزنى ما كتبته عن مبادرة - الاستاذ زغلول الوطنى الذى صنف مخطوطا عن هذا المجاهد السودانى العربى الاسلامى على ان ابادر الى تدارك بعض ما قصرت فى ادائه من حقوقه على شخصى الضعيف وعسى ان يكون فيما اكتبه له ولقراء « الخرطوم » من معلومات وحقائق تمثل فقط صفحة واحدة من صفحات حياته الحافلة بالعطاء والجد ، ما قد يفيد الكتاب المختصين من امثال الاستاذ زغلول الوطنى الذين يهتمون - جزاهم الله خيرا - بتاريخ ميراث رجال افذاذ خالدين من امثال وطراز الشيخ على عبد الرحمن الضرير - رحمه الله - الذى عاش سنوات فى جنوب السودان فترك بصماته المتوهجة هناك .

مدينة ملكال بين عامى ١٩٤٥ و ١٩٤٧

ارتبطت حياة الشيخ على عبد الرحمن الأمين رحمه الله - باحداث تاريخية ما زالت متوهجة فى حياة مدينة ملكال خاصة ومديرية اعالى النيل

عامة وذلك خلال الفترة التى قضاها فيها عامى ١٩٤٧ ، ١٩٥٢ - وقد لعب الشيخ على عبد الرحمن دورا وطنيا حاسما فى موضوع بالغ الحيوية كان مثار جدال واخذ ورد قبل وصوله لملكال بعامين اى منذ عام ١٩٤٥ م .

ولنتحدث عن ذلك منذ بداية الاحداث ، ففى عام ١٩٤٥ م افتتحت الحكومة المصرية اول مدرسة لها فى مدينة ملكال ، وكانت تحمل اسم «مدرسة الملك فاروق الاميرية الوسطى » وتولى الاخوة المصريون العاملون فى « مستعمرة الرى المصرية » الدعاية لها بحذر شديد حتى لا يثيروا حفيظة الادارة البريطانية الحاكمة ويمثلها مدير المديرية ومفتش المركز وهما بريطانيان كانا على صلة وثيقة بمفتش عام الرى المصرى وهو بريطانى ايضا ويدعى مستر « كامبردج » .

وفى ذلك العام الذى كان اول عام دراسى لمدرسة الملك فاروق الاميرية الوسطى وقبل الدراسة طاف مفتش المركز البريطانى «لا اعرف اسمه » على سوق ملكال صفا صفا بل ودكانا دكانا يحذر التجار الشماليين وبعض التجار من الأهالى الجنوبيين من ارسال ابنائهم الى المدرسة المصرية وكانت حجته التى يبرر بها هذا التحذير

هى ان المدارس المصرية لا تعلم شيئا وان من اراد ان يضيع مستقبل ابنه يرسله الى مدرسة مصرية ! ! .

ويضيف مفتش المركز الى هذا التحذير وعدا يبدأ به كما لو كان حريصا على مستقبل ابناء التجار والأهلين حيث يقول انه مستعد لمساعدة كل أب يريد ارسال ابنه لأى مدرسة حكومية فى الشمال .

المصريون فطنوا لهذا الأمر !

واظهر الاخوة المصريون فطنة معهودة فيهم اذ لم يغب عليهم هذا التحدى الخطير من جانب الادارة الاستعمارية البريطانية بالطعن فى قيمة التعليم المصرى وكفاءة المدراس المصرية فى تعليم تلاميذها وكان دليل الفطنة المصرية عندى هو ان وزارة التربية والتعليم المصرية ارسلت لمدرسة الملك فاروق الاميرية الوسطى فى ملكال نخبة ممتازة من الاساتذة كلهم حملة درجات علمية فوق الجامعية واذكر منهم على سبيل المثال استاذنا محمد عبد العزيز الساعاتى وكان يحمل درجة الماجستير فى التربية وعلم النفس كناظر للمدرسة، واستاذنا احمد عبد الوهاب الغندور وكان يحمل درجة الماجستير فى اللغة العربية من دار العلوم

المصرية ، واستاذنا محمد عيسى وكان يحمل درجة الليسانس من الأزهر الشريف فى الفقة الاسلامى ، وهناك ايضا استاذنا وديع فارس «قبطى » وكان يحمل درجة الليسانس فى التربية البدنية .

وقبلت هذه النخبة الممتازة من الاساتذة الأكفاء التحدى الذى فرضه عليهم مفتش مركز ملكال ممثلا للادارة البريطانية فى محاربتها للتعليم المصرى فى السودان عموما وفى الجنوب خصوصا .

وهناك تاجر شمالى آخر قبل هذا التحدى مع عدد آخر من التجار وهو أبى - رحمه الله - فقد قرر تجاهل تحذير مفتش المركز البريطانى وارسلنى الى مدرسة الملك فاروق الاميرية الوسطى رغم ان مجيئى مع عدد آخر لا يزيد على خمسة تلاميذ الى المدرسة الا ان ناظرها اجرى لنا اختبار ذكاء ليلمس درجة قابليتنا للفهم والاستيعاب ، ولذلك تم قبولنا فى الفصل الدراسى الثانى اذ ان العدد المطلوب للفصل الدراسى الأول قد اكتمل .

حدث مصرى آخر بدا فى نفس العام

وفى العام ١٩٤٥ م نفسه بدا فى مدينة ملكال

حدث مصرى آخر لا يقل اهمية وقيمة عن حادث افتتاح اول مدرسة مصرية فى المدينة ، وكان الحدث الآخر هو البدء فى حفر اساسات « جامع الملك فاروق الأول » فى ملكال ، ولأول مرة نرى نحن اطفال ملكال حفرة عميقة فى باطن الارض ونسأل فيقال انها لأساس الجامع ! ولأول مرة ايضا يرى سكان ملكال تلك الكتل الضخمة من الاحجار تنقل بناقلات عملاقة ثم ترص بشكل هندسى الى ان ظهر شكلها كبناء ضخم هو الجامع الجديد وبهذه المناسبة فان جامع الملك فاروق فى مدينة ملكال يعد من اكبر الجوامع فى السودان ويكاد يضاهى فى سعته جامع الخرطوم الكبير وان كان اضخم منه لأنه مبنى بالحجر مثل جامع فاروق فى الخرطوم ، ويمتاز جامع فاروق فى ملكال بملحقاته التى تحولت الى معهد علمى وداخليات ومستودعات فيما بعد بفضل هذا الرجل الذى نحن بصدد الكتابة عنه وآثار ذكره الطيب كل هذه الذكريات وهو الشيخ على عبد الرحمن الأمين - رحمه الله - .

وبعد عامين تقريبا اى فى عام ١٩٤٧ اكتمل بناء جامع الملك فاروق فى ملكال .

حدث استقبلته المدينة اعظم استقبال

وكما شهد عام ١٩٤٧ م اكتمال بناء جامع الملك فاروق ، شهد ايضا حدثا لا يقل اهمية عن سابقيه وهو وصول الشيخ على عبد الرحمن الأمين الى مدينة ملكال .كأول قاض شرعى فيها ، ففى اوائل عام ١٩٤٧ تقدم تجار واهالى مدينة ملكال الى مدير المديرية بعريضة يطلبون فيها من الادارة البريطانية ان تسمح بارسال قاض شرعى لتصريف شئون المسلمين فيها من زواج وطلاق وقضايا تريكات وارث .

مصادفة قدرية سعيدة

وكانت مصادفة قدرية سعيدة ان صادف عام ١٩٤٧ م اكتمال جامع الملك فاروق ووصول الشيخ « محمد امام » من جانب الازهر الشريف كأمام وخطيب « للجامع » ووصول الشيخ على عبد الرحمن كقاض بعد ان وافقت الادارة القضائية فى الخرطوم على عريضة من سكان ملكال المسلمين ، ولعل من المقدمات الطيبة والملفتة للنظر ان مقدم هذا القاضى الشرعى كان خاتمة خير للاسلام والمسلمين على مستوى مديرية اعالى

النيل خاصة والجنوب عامة ، فقد كشف استقباله فى ميناء ملكال النهرى عن اغلبية مطلقة للمسلمين بين سكان المدينة .. كما فصح من ناحية اخرى فضح كذب ادعاء رجال الادارة البريطانية ورجال الكنائس العنصرية بان ملكال ومديرية اعالى النيل تقطنها غالبية مسيحية والحقيقة هى ان الغالبية من السكان فى المديرية عموما من الوثنيين اللادينيين، والاقلية القليلة منهم تعتنق المسيحية وهى اقلية لا تتجاوز محيط كنيستى ملكال او الكنيسة « لول» او كنيسة « الدولب هيل » فى جنوب ملكال .

كانت الباخرة النهرية الاسبوعية تصل من ميناء كوستى النهرى الى ميناء ملكال النهرى فجر كل يوم سبت ، وكان وصول الباخرة فى ذلك اليوم من كل اسبوع حدثا ترتقبه السكان بشوق لاستقبال القادمين وتوديع المغادرين ، والتفرج على ركابها الذين يواصلون السفر الى « جوبا » وما فى الطريق اليها من مدن مثل بور ، وهكذا استقبلت ملكال الشيخ على عبد الرحمن الأمين فى صباح يوم سبت من احد شهور خريف عام ١٩٤٧ م استقبالا يليق بصفته الدينية كقاض شرعى ، وبصفته الوطنية كمسئول سودانى فى موقع مميز له هيبته ووقاره .

خطبتان .. وثالثة ثائرة

وجاء يوم الجمعة الموعود الذى تلا سبت وصوله حيث امتلأ صحن الجامع الجديد على سعته بالمصلين وكان مشهدا اسلاميا اغاظ من رجال الكنيسة ومن رجال الادارة البريطانية الذين لم يصدقوا اعينهم وهم يرون ان فى مدينة ملكال عاصمة اكبر المديريات الجنوبية كل هذا العدد الضخم من المسلمين خاصة بين الأهالى من غير الشماليين .

وبعد خطبتى الجمعة والصلاة وقف امام وخطيب الجامع الشيخ « امام » ليطلب من المصلين البقاء حيث هم جالسون لأن خطبة ثالثة ستلقى عليهم من القاضى الشرعى الذى وصل المدينة ، وكانت خطبة نارية ثائرة كما وصفها بعض مثقفى المدينة او قل المتحذلقين ! وكان من نتيجة الخطبة الثائرة التى القاها الشيخ على عبد الرحمن الأمين كقاض شرعى شرح مهمته وكداعية اسلامى مستفتحا بها حملته الدعوية فى الجنوب كله وليس فى ملكال وحدها ، اقول كان من نتيجة هذه الخطبة الاعلان عن اقامة اول « جمعية للمؤلفة قلوبهم » وتشكيل اول مجلس امناء لها فى نفس المكان « الجامع » من بين اعيان المدينة من التجار والأهالى .

الاستفادة من ملحقات الجامع للجمعية

وعرف الشيخ على عبد الرحمن يرحمه الله - كيف يستفيد من المبانى الملحقة بجامع الملك فاروق، اذ حول العديد من الغرف به الى فصول دراسية كنواة لمعهد علمى لتدريس القرآن وعلومه، كما حول بعض الغرف الى داخليات ينام فيها تلاميذ المعهد من المؤلفة قلوبهم ، ونشط مجلس امناء الجمعية الجديدة فى جمع التبرعات المالية والعينية كالمراتب ، والحصر ، والاسرة الحديد ، والمساند ، « المخدات » والشنط الحديد بواقع شنطة لكل تلميذ ليضع بها ملابسه واغراضه ، فضلا عن انواع الأغذية كالأرز والعدس والفاصوليا والدقيق والسكر واللحوم فالبعض تبرع بابقار وخراف والبعض من الجزارين تبرع بكميات محدودة ويومية من اللحوم لتلاميذ المعهد العلمى الجديد ، وعلى ما اذكر تولى احد مطاعم المدينة إعداد الوجبات ريثما يتم تجهيز « مطبخ » خاص تابع للجمعية ، واذ لم تخنى الذاكرة فقد تولى إعداد الوجبات للتلاميذ مطعم العم « حمد » الذى كنا نلقبه بـــ « ابو ديزة» لانه كان ممتلئ الجسم وكان كثير المرح طيبا وخجولاً ، او ربما كان المطعم الذى اعد الوجبات لعمنا « الطيب احمد

شرفى » وهو من اهالى ودنوباوى بامدرمان ، لا اذكر اى المطعمين الآن وربما يذكر ذلك احد « اولاد ملكال » .

اول دفعة من التلاميذ الى الازهر الشريف

ولم يمضى عام على قيام جمعية « المؤلفة قلوبهم » وبدء الدراسة فى المعهد العلمى فى جامع فاروق بملكال حتى كان الشيخ على عبد الرحمن يرحمه الله قد رتب كل شئ يلزم لارسال اول دفعة من التلاميذ الى مصر لالحاقهم بالجامع الازهر الشريف ، وكان من كرم الله عليه لخلوص نيته فى الدعوة لله ونشر الاسلام انه رأى ثمرة جهده فى مدينة ملكال قبل ان يغادرها لآخر مرة عام ١٩٥٢ م ، اذ عادت تلك الدفعة الاولى من مصر وكان افرادها اول دعاة من ابناء الجنوب للدعوة لدين الله الحنيف الاسلام فى الجنوب عامة ، وفى ملكال وما حولها من قرى ومراكز خاصة واذكر منهم اسم « عبد الله متولى » .

مهد لخطوة هامة اكملها المحافظ الوطنى

وقبل ان يغادر الشيخ على عبد الرحمن الأمين - رحمه الله - مدينة ملكال عام ١٩٥٢ م حقق انجازا آخر ذا قيمة اخلاقية وحضارية بالغة

الأهمية وهذا الانجاز هو تمهيده العملى لمحاربة العرى بين رجال ونساء الجنوب فى مديرية اعالى النيل ، فابلوعى الايمانى والسلوك الانسانى اللذين كان رائدهما هيأ المناخ الملائم لمحاربة عادة العرى التى استطاع اول محافظ وطنى لمديرية اعالى النيل ان يقضى عليها داخل مدينة ملكال وهو السيد محمد عثمان يس عليه رحمة الله وهو رجل لعب دورا خطيرا فى انقاذ مدينة ملكال من تمرد اغسطس الذى حدث فى توريت يوم ١٦ أغسطس ١٩٥٥ م وكان يفترض ان يحدث فى مدينة ملكال يوم ١٨ اغسطس ١٩٥٥ م فى الساعة العاشرة صباحا وسأكتب عن دور السيد محمد عثمان يس - رحمه الله - فى انقاذ المدينة من مذبحة كانت ستقضى على ثمانية عشر الف شمالى وشمالية من سكان المدينة ومثلهم من الأهالى المسلمين فى حى الملكية .

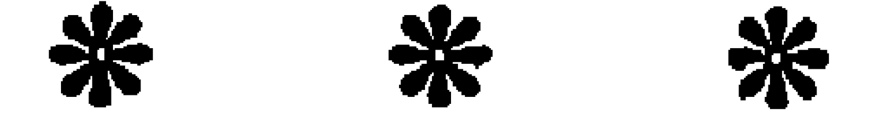
لقاء فى الخرطوم بعد ملكال

وغادر الشيخ على عبد الرحمن الأمين - رحمة الله عليه - وأسرته مدينة ملكال والجنوب كله الى الخرطوم عام ١٩٥٢ م حيث استقال من وظيفته القضائية الحكومية لينخرط فى العمل

الوطنى السياسى السافر منطلقا فيه كتائب عن الحزب الوطنى الاتحادى فى اول انتخابات عامة عام ١٩٥٣ م .. وفى عام ١٩٥٦ م تقدر لى ان اصل الى الخرطوم ليكون بيننا لقاء من نوع آخر وكان له الفضل فى تثبيتى فى مهنة الصحافة ، ولهذا حديث آخر له شرح يطول والرجل لم ينسانى حين التقيته فى الخرطوم كواحد من ابناء تاجر صديق له ، وكزميل دراسه لابنه البكر «مأمون » الذى تربطنى به منذ ايام ملكال صداقة لازلت اعتز بها الى اليوم . وترك الشيخ على عبد الرحمن الأمين بصمات متوهجة من الخلود الحى فى تاريخ ملكال وحياة اهلها وحياة الملايين من ابناء اعالى النيل خاصة والجنوب عامة ، رحمه الله واحسن اليه فى آخرته بقدر ما احسن لوطنه ومواطنيه ودينه .

الطيب شبشة

« الخرطوم » ٦ مايو ١٩٩



الاستاذ عبد الباسط شاطرابى

ذكريات الطيب شبشة

الذكريات التى اثارها الاستاذ الطيب شبشة فى عدد سابق من هذه الصحيفة هى ذكريات تستحق التوقف عندها لأكثر من سبب ، فهى - أولا - تأتى من قلم صحفى راصد وراسخ ، وهى - ثانيا - تأتى لتؤرخ لفترة غائبة من تاريخ الحركة الوطنية والاجتماعية فى جزء عزيز من وطننا الغالى هو (ملكال) ثم هى « اخيرا» نوع من الكتابة التى تجمع بين المعلومة الموثقة والملاحظة العابرة مضافا لذلك مزيج من المشاعر الخاصة للكاتب والتراكيب اللغوية المعبرة لتكون الخلاصة مقالا قادرا على جذب القارئ وامتلاك اهتمامه .

والشيخ على عبد الرحمن ، الذى جعله الاستاذ الطيب شبشة محور المقاله ، عرفه جيلنا عقب ثورة اكتوبر ١٩٦٤م رئيسا لحزب الشعب الديمقراطى الذى كان يضم نخبة من القيادات المثقفة الفاعلة سياسيا ، وكان الحزب يضم ، ايضا، قاعدة عريضة تتمثل فى مؤيدى توجهه

السياسى من جهة ، ومؤيدى الدينى المتمثلين فى طائفة الختمية المؤثرة والموازنة لطائفة الانصار فى الشارع السودانى .

عرفنا الشيخ على عبد الرحمن - طيب الله ثراه - خطيبا مفوها وعالما بأمور الشرع والدين ، كما عرفناه ايضا سياسيا محنكا لا تشغله المناصب واهواء الزعامة ، وكان من اعظم الدلالات على زهده فى المناصب انه عندما بدأت المشاورات والخطوات العملية لدمج حزب الشعب الديمقراطى مع الحزب الوطنى الاتحادى بزعامة اسماعيل الازهرى رحمه الله ، كان هم « البرنامج السياسى» و « التوجه الوطنى » هو المسيطر على الشيخ على عبد الرحمن ، لذلك فقد قبل باندماج الحزبين رغم ان ذلك يعنى رضاءه بمقعد الرجل الثانى فى الحزب الوليد « الاتحادى الديمقراطى » بعد ان كان الرجل الأول فى حزبه السابق .

لقد كان اندماج حزب الشعب الديمقراطى والحزب الوطنى الاتحادى بداية لميلاد حزب قوى مؤثر فى البلاد ، واستطاع « الاتحادى الديمقراطى» ان يشكل مع زميله « حزب الأمة » فيما بعد قطبى الرحى فى زعامة الحركة السياسية بالبلاد .

كم آمل ان يواصل الاستاذ الطيب شبشه كتابة بعض المقالات عن تلك الفترة الزاخرة بالاحداث الجسام ، وكم اتأسف لانزواء الكثيرين ممن عاصروا وعايشوا بل وشاركوا فى صنع العديد من الاحداث فى تاريخنا رغم انهم قادرون على تدوين وتوثيق هذا التاريخ الرائع لشعبنا .

❋ ❋ ❋

شكر وتقدير

بعد ان تم نشر كتابى « هذا الرجل جهاد وامجاد » عن الزعيم المجاهد الجليل الشيخ على عبد الرحمن الأمين فى سبعة حلقات على صفحات جريدة « الخرطوم » الغراء ، لا يسعنى الا ان اتقدم بوافر الشكر والتقدير للدكتور الباقر احمد عبد الله على تقديمه لهذا الكتاب بكلمته التى لاقته ارتياحا فى نفوس قراء « الخرطوم » الغراء فكان اول تجاوب لها كلمة الدكتور احمد السيد حمد الذى لخص تاريخ الحركة الوطنية مشيدا بالرعيل الأول من زعمائها .

والشكر موصول للأستاذ الفاضل فضل الله محمد رئيس التحرير الذى تجاوب مع اقتراح الزميل الاستاذ محمد الحسن احمد بنشر الكتاب على حلقات ، والشكر والثناء للاستاذ محمد مصطفى الحسن الذى تعاون مع الفنيين من الزملاء فى قسمه لاخراج الصفحات التى راقت القراء الاعزاء مما شحذ ذاكرة البعض منهم فارسل مااختزنته من ذكريات عن « الرجل » . ونخص منهم العم حسن محمد صالح الملك والاستاذ الطيب

شبشـه والاسـتاذ عبـد الباسـط شـاطرابى والاسـتاذ محمـد الامين ديـن فجـزاه اللـه الجميـع خير الجزاء انه سبحانه سميع مجيب الدعاء ، وحتى نلتقى مع صفحـات كتـابـى الـقادم « البطـل الثائـر علـى عبـد الرحمـن الأميـن » ارجـو ان يتقبـل الاسـاتذة المعلقين الاوفيـاء والسـادة القـراء الاعـزاء خـالص الشكر ووافر الامتنان .

زغلول الوطنى

* * *

الكـتاب القــادم

البطل الثائر

على عبد الرحمن الأمين

تــأليف

زغلــول الــوطنى



المــؤلف

● زغلــول محمــد الوطنــى . مــن مواليــد عــام ١٩٢٨م .

● تخرج من جامعة الأمام « الختم » السيد محمد عثمان الميرغنى .

● مــن مؤسسى حــزب الشــعب الديمــقراطى ٢٦ يونيه ١٩٥٦ م .

● سكرتير عام لجان حزب الشعب الديمقراطى بالجريف غرب .

● له عظيم الشرف بعدم انتمائه لمنظمات عهدى الدكتاتورية ١٩٦٩ و ١٩٨٩.

● عمل بالصحافة وكتب فى صوت السودان .. والجماهير .. والرأى العام .. والسودان الجديد .. والصحافة .. والخرطوم .

الفـــهرس

رقم الإيداع ١١٤٤٠ / ١٩٩٥

دار

الإتحاد الأخوى للطباعة

٣٨ شارع البهنساوى - الدراسة - القاهرة .

ت : ٥١٢٠١٣٦







- ولد على عبد الرحمن الأمين بالخرطوم عام ١٩٠٦ .
- تخرج من كلية غردون التذكارية عام ١٩٢٦ وعمل بالقضاء الشرعى حتى عام ١٩٥٣ ثم استقال ورشح نفسه للانتخابات الأولى سنة ١٩٥٤ وعين وزيرا للعدل فى أول حكومة سودانية حققت الأستقلال . وظل وزيرا فى كل الحكومات الوطنية البرلمانية التى تعاقبت حتى قيام الحكم العسكرى عام ٥٨ . وعاد للوزارة بعد ثورة أكتوبر .
- عمل رئيسا لتحرير جريدة المؤتمر وأسس جريدة الجماهير .
- عضو المؤتمر الأسيوى الأفريقى وعضو مجمع البحوث الاسلامية .
- كان وزيرا للخارجية ونائبا لرئيس الوزراء عند قيام ثورة مايو ١٩٦٩ .
- من الأعضاء البارزين فى مؤتمر الخرجين ومن مؤسسى حزب الأشقاء أول حزب وطنى فى السودان ورئيس حزب الشعب الديمقراطى .
- يعتبر من أكثر الزعماء معرفة بشئون جنوب السودان وعمل فترة طويلة بالجنوب عمم فيها الدعوة الاسلامية وأسلم على يديه عدد كبير .
- وقف بعنف وهو رئيس لحزب الشعب ضد اجراء انتخابات فى الشمال دون المديريات الجنوبية ودعا أنصاره لمقاومتها بالقوة باعتبار أن قيام برلمان شمالى سيعطى الحجة لدعاة الانفصال وللمستعمرين لتنفيذ مؤامرتهم لفصل الجنوب . ورفض حزبه خوض الانتخابات فى الشمال فأحدث ذلك اضرابات عنيفة .
- اعتقل على اثر ذلك واودع فى السجن الانفرادى بالخرطوم ثم حولت محاكمته لشرق السودان لاستنكار الرأى العام اعتقاله وواجه تهمة التحريض على القتل العمد . وعقوبة الاعدام .
- عاش فى قلب الحركة الوطنية واثر فيها وله مواقف تاريخية مشهورة . ع... مشروع ايزنهاور الاستعمارى لدول الشرق الأوسط حتى رفض وكان ذلك ... لبقية الدول العربية الأخرى لرفضه كما عارض المعونة الأمريكية المش... والب البرلمان ضدها .. حتى سقطت .
- عرف بمواقفه الصلبة من أجل العرب والقضية العربية وساعد عندما كان و... للمعارف على انشاء جامعة القاهرة فرع الخرطوم .